الجذور الحديثة لمشكلة الازدواج اللغوي ١٨٨٠ - ١٨٩٠

بقلم الدكتور صالح جواد الطعمة

ليس من شك في ان الازدواج اللغوي في العربية يعد من ابرز القضايا الفكرية التي شغلت رجال الفكر والثقافة في العالم العربي منذ بدء النهضة الجديدة حتى يومنا هذا . ولا تزال هذه المسألة اللغوية موضع نقاش وجدل في مؤتمراتنا المختلفة ، (تعليمية كانت ام ادبية ، ام مجمعية) او بين حملة الاقلام على اختلاف ميولهم وتخصصهم . وذلك امر طبيعي بالنظر الى خطورة المسألة ذاتها ، وعلاقتها بابعاد سياسية وادبية وثقافية او دينية ، غير ان معظم المحاولات او الدراسات العربية ظلت تدور في حلقة مفرغة ، بعيدة عن صلب المشكلة ، متأرجحة بين الدعوة الى تفضيل العامية على الفصحى كلغة الحياة والثقافة ، او القضاء عليها . وكان من نتائج هذا المنهج ظهور دراسات ومقالات مثقلة بالتكرار وتبادل التهم وخصائص اخرى هي اقرب الى الطابع العاطفي غير العملي منه الى النهج الموضوعي الهادىء . فتارة نسمع بان المشكلة « خرافية » او انها اثر من آثار الاستعمار ، واخرى تجد اصحاب هذه الدعوة او تلك يتهم بعضهم الاخر بانهم دعاة هدم او رجعية ، ثم تهدأ العاصفة حينا لنواجه المشكلة مرة اخرى . ولنعيد ما قيل من قبل كما لو لم تكن هدفا لمحاولات مماثلة .

ولست اريد بهذا الادعاء بان من الممكن التخلص من العناصر العاطفية في معالجة موضوع يمس مصير الكيان العربي الموحد ، بل اريد القول باننا غالبا ما نجانب تفهم المشكلة تفهما علميا او معالجتها معالجة تقودنا الى حل ، او تضيف الى معلوماتنا ما يلقي الضوء على تاريخ التطور اللغوي للعربية ، بسبب ضعف العنصر الوصفي في منهجنا ، واقحامنا فيه امورا من طبيعتها خلق جو حزبي مفتعل بين انصار هذا الحل او دعاة ذلك المذهب .

ان من اوليات المنهج العلمي الارتكاز على اساس الوصف وجمع الحقائق كما هي ، لا كما نود ان تكون ، وتحليلها او تفسيرها في ضوء ما توصل اليه العلم ، ونحن بالرغم من الضجة الكبرى المستمرة حول المشكلة اللغوية ، لا نزال نفتقر الى دراسات وصفية دقيقة تعنى بتقرير الفروق اللغوية ، وحقيقة اللهجات المعاصرة ، واختلافها من بيئة الى اخرى ، وما يحيط بموضوع الانتقال من العامية الى الفصحى من امور كظاهرة « التدخل » في اكتساب عادات لغوية جديدة واتقانها ، وما له من آثار في النمو العقلي للفرد (١) .

ان القول بان الاعراب هو الفارق الاساسي الذي يميز الفصحى من العامية ، او ان التعليم سيزيل الفروق ، او ان اختلافا كهذا طبيعي في كل لغة ، او غير ذلك من الاحكام ، لا يرسم الا صورة مشوهة للواقع اللغوي ، ولقد كانت « لجنة العامية والفصحى » في مجمع اللغة العربية بالقاهرة على حق حين قررت بان الطريقة المثلى في مواجهة الاختلاف بين العامية والفصحى ، هي اللجوء الى المسح اللغوي ، كما يمسح المهندس ميدانا من الميادين ليعرف حدوده وخصائص سطوحه ، ومعادن ارضه ، وحين وسمت كثيرا من المحاولات السابقة بالعفوية او اقتصارها على اشياء مفردة (٢) .

واذا كتب لقارىء ان يتتبع جذور المشكلة في معظم المجلات العربية وحدها كا « المقتطف » و « المشرق » و « الرسالة » و « الضياء » و « العرفان » و « الاديب » و « الآداب » لهاله مقدار ما كتب حول الموضوع ، ولاصابته الدهشة لما افتتن به كتابنا من حب للاعادة والتكرار حتى ليصح القول بان ما نسمعه اليوم من آراء ، او ما نتتبع من محاولات لا يختلف جوهريا عما نشر خلال العقد التاسع (١٨٨٠ - ١٨٩٠) من القرن الماضي .

ان سبب اختيارنا لهذه الفترة لا يعني انها شهدت الاستجابة العربية الاولى للمشكلة ، اذ من المتوقع ان نجد محاولات اخرى قبل التاريخ المذكور كمعالجة « مارون نقاش » عام ١٨٤٧ * لمشكلة الحوار باللغة العامية في احدى مسرحياته ، بل يعود الى كونها تمثل سلسلة من المحاولات المنظمة التي هدفت الى تناول الازدواج اللغوي على اساس جديد نسبيا يتعارض والمنهج التقليدي الذي سار عليه علماء اللغة العرب في دراساتهم عن « لغة العوام او العامة » .

واول ما يواجه به القارىء في هذه المحاولات نزعة تشكيك او شك في مدى فاعلية الفصحى او كفاءتها كلغة للثقافة ، وهي مظهر من مظاهر الاتصال بالغرب ، والوقوع تحت تأثيره ، وجزء لا يتجزأ من الاطار العام لاستجابة المفكر العربي أو المسلم للعنصر الغربي الجديد في حياته . اذ كما بدا المفكر العربي يتساءل متشككا عن مدى صلاح مؤسسات مجتمعه وتقاليده في بناء حياته الجديدة ، بدات حالة اللغة العربية تثير شكوكه ، لا سيما وقد اصبح لها دور اكثر فاعلية من ادوارها السابقة في الحياة الفكرية بعد خمود طال عدة قرون . وكان من الطبيعي ان تجد هذه النزعة بيئة صالحة لها في « لبنان » و « مصر » حيث توطد النفوذ الغربي ، واتخذ اشكالا مختلفة .

واغلب الظن ان الفكر العربي كان لا بد ان يعنى بهذا الموضوع الحيوي حتى ولو لم يكن للاستعمار يد في تشجيع الدعوة الى العامية ، او التخلص من الفصحى (٣) ، اذ ان عملية التعليم الشامل ، والنزوع الى محو الامية ، - وهي ظاهرة حديثة في تاريخ الحضارة الانسانية - تستلزم

اسهل الطرق واقصرها في تعميم القراءة والكتابة والمعرفة الاساسية ، وذلك يعتمد اعتمادا كبيرا على طبيعة لغة التعليم ذاتها .

ولهذا نجد ان محرر « المقتطف » يتناول موضوع « اللغة العربية والنجاح » من زاوية جديدة ، زاوية البعد بين الفصحى والعامية ، فيعزي تقدم الغرب الى التقارب بين لغة الكلام ولغة الثقافة فلغة الكتب ـ كما يقول ـ « لا تفرق كثيرا عن اللغة التي يتكلمون بها فيفهم العامي منهم كتاب الفلسفة كما يفهم العامي مناقصة بني هلال وينتفع عامتهم بالكتب كما ينتفع خاصتهم ، ولهذا نرى سبل النجاح مفتوحة لخاصتهم وعامتهم على حد سوي وبضاعة العلم رائجة عندهم اي رواج (٤) » .

ثم ينتقل الى المتكلمين باللغة العربية مشيرا الى ان « كتبنا ولا سيما كتب العلوم مكتتبة بلغة غير اللغة التي نتكلمها والبعد بينهما كالبعد بين الفرنساوية والانكليزية او بالحري كالبعد بين اللاتينية والايطالية فاذا اردنا ان نطلب النجاح من بابه فقد اشار ذوو الالباب بواحد من ثلاثة امور وهي : اما ان نستبدل لغتنا بلغة اخرى وهذا ما لا نرضاه لانفسنا ولا يرضاه غيرنا لنا ، واما ان نكتب كتبنا باللغة التي نتكلم بها كما فعل الايطاليون ، والاروام وغيرهم من الامم ، وما من مانع يمنعنا عن مجاراتهم فنضبط لغة التكلم الشائعة في البلدان العربية ونكتب كتبنا بها ونكون قد جرينا هذا المجرى الطبيعي القاضي على اللغات ان تتغير بتغير الازمان ، واما ان نعلم اولادنا التكلم بالعربية الصحيحة حتى تصير ملكة فيهم فيتكلمون كما يكتبون وهذا على ما نظن اشرف الطرق وآمنها وانفعها لان العربية الصحيحة واسعة المتن مضبوطة القواعد غنية بالكتب يمكنها ان تجاري العلم اكثر من كثير من لغات الارض (٥) » .

وبالرغم من ان كاتب المقال المذكور آثر الحفاظ على اللغة الفصيحة فانه لم يجد مانعا يحول دون اختيار العامية كحل يتناسب و « المجرى الطبيعي القاضي على اللغات ان تتغير بتغير الازمان » وبذلك ادخل عنصرا منهجيا غير مألوف او مقبول في التفكير العربي يشكك في صلاح اللغة ، بدلا من كفاءة المتكلمين بها .

ولعل لهذا الحل علاقة لمحاولة اجنبية سابقة قام بها عالم اللغة الالماني « سبيتا ١٨١٨ ـ ١٨٨٣ » حين اعتبر في مقدمة كتابه (٦) عن اللهجة المصرية اختيار العامية مسألة حياة او موت بالنسبة لمصر ، كما تطرق الى ما تسببه الفجوة بين اللغة المكتوبة واللغة المحكية من تأثير سلبي في فعاليات الاقطار العربية عامة . وتساءل اخيرا عما يجنيه التلميذ من فوائد « لو كان له ان يكتب اللغة التي يتكلم بها بدلا من ان يكره على كتابة لغة غريبة عن الجيل المصري المعاصر ، غرابة اللاتينية بالنسبة للشعب الايطالي (٧) » .

غير ان هذه الدعوة لم تلق ـ كما هو متوقع ـ غير استنكار المفكرين العرب الحريصين على تراثهم ، وقد سارعوا الى دحضها وكان في مقدمتهم الشيخ خليل اليازجي الذي كتب في المقتطف تعليقا بين فيه ان « لغة العامة لا تغاير الفصيح في غالب الامر الا من جهة الاعراب »، وذكر ان الحائل بين اللغة والفهم « ليس من قبل اللغة وانما هو من قبل المستعملين لها على الاكثر ، وذلك ان اكثر الكتاب في هذه الايام مولعون بتنميق العبارات متهافتون على اختيار الغريب وتحسين كلامهم بالاستعارات والتجنيسات والتوجيهات العلمية الى غير ذلك مما يتجه القصد فيه الى شيء في نفس الكاتب غير المعنى المقصود بعبارته فيسقطون في وضع الشيء في غير محله وحينئذ

---

(١) قام « ارسنيان » بتحليل عشرات الدراسات التي تناولت أثر الازدواج اللغوي في نمو الطفل ، ووجد ان نسبة كبيرة منها تدل على ان لهذه الظاهرة اللغوية آثارا سلبية . راجع : Arsenian, Seth. « Bilingualism in the Post - war world» Psychological Development 42 : 65 - 86 (1945) انظر : weinreich, Uriel Languages in Contact (New York: 1953) P. 116.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٧ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤ (٩٥٣) . ❋ ارزة لبنان : نشر وجمع نقولا نقاش (بيروت : ١٨٦٩) ص ٩١ . وانظر المسرحية في الادب العربي الحديث : محمد يوسف نجم (بيروت :١٩٥٦) ٤٢١ ـ ٤٢٢ . (٣) من الطريف ذكره ان احد الكتاب العرب في مطلع القرن العشرين حاول ان يعزي محاولات المستشرقين لدراسة اللهجات الى اصول عربية مستشهدا بقول ابن خلدون عن حالة اللغة العربية في عهده : « ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد ، واستقرينا احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور اخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر » معقبا عليه بقوله : « فاخذ ذلك المستشرقون من الافرنج واعتنى بعضهم بتدوين اللسان واستقراء احكامه » . راجع : روحي الخالدي (المقدسي) « تاريخ علم الادب عند الافرنج » الطبعة الثانية (القاهرة : ١٩١٢) ص ٤١ . (٤) « اللغة العربية والنجاح » المقتطف ٦ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣ (١٨٨١) . (٥) المصدر نفسه ص ٣٥٣ .

(٦) Spitta : Grammatik des Arabisehen Vulgaerdialectes Von Oegyten, (Leipsig: 1880)

(٧) لاحظ مقدمة كتاب ولمور The Spoken Arabic of Egypt (London : 1901).

(٨) خليل اليازجي « اللغة العربية والنجاح » المقتطف ٦ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥ (١٨٨١) . (٩) « مستقبل اللغة العربية » المقتطف ٦ : ٤٩٥ (١٨٨١) . (١٠) المصدر نفسه ص ٤٩٤ . (١١) المقتطف ٦ : ٥٥١ـ٥٥٦ (١٨٨٢) . (١٢) المقتطف ٦ : ٥٥٦ ـ ٥٦٠ (١٨٨٢) . (١٣) المقتطف ٦ : ٦١٨ـ٦٢١ ١٨٨٢) . (١٤) راجع مثلا : «كشف الفطا عما في كلام المكن من الخطا» بقلم ح.ح. المقتطف ٦ : ٦١٠ ـ ٦٩٤ ـ و « نجاح الامة العربية في لغتها الاصلية » لمتري قندلفت : ٦ : ٦٩٤ ـ ٦٩٦ (١٨٨٢) . (١٥) المقتطف ١١ : ٧٤ ـ ٧٧ (١٨٨٦) . ❋ راجع ما قاله « دفرن » عن اسباب تفضيله العامية المصرية : سليم خليل النقاش : مصر للمصريين ٦ : ٩٤ (الاسكندرية ١٨٨٤) . (١٦) المقتطف ١١ : ١٤٨ ـ ١٥٠ (١٨٨٦)

(١٧) Verhandlungen des V11 Internationalen Orientalisten - Congress (1886) wien 1888. PP. 69 - 104.

وانظر : محمد خلف الله احمد : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها (القاهرة : ١٩٦١) ١٥٣ ـ ١٥٦ . (١٨) محمد خلف الله احمد ـ المصدر المذكور ـ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

يذهب المعنى شهيد الالفاظ التي انما اجتلبت لاجله ويضيع المراد من تقريرها (٨) » .

فاليازجي لا يلقي اللوم على البعد بين العامية والفصحى، بل يرى نقصاً او تعقيدا في طريقة استعمال اللغة في الكتابة ، ومن هنا جاءت دعوته الى « مراعاة العامة قبل الخاصة واختيار اوضح الالفاظ واسهل الاساليب بحيث يكون الكلام ظاهر المراد مفهوم المغزى » ، ومما يجدر ذكره أن محاربته الدعوة الى استبدال الفصحى بالعامية لم تشر الى ما ينجم عنها من تمزيق لشمل العرب ، بالرغم من انه اعترف بان لغات العامة تتباين تباينا لا يقل عن التباين بين احداها وبين اللغة الفصيحة ، بل اقتصرت على معالجة الموضوع معالجة تكاد تكون لغوية متجنبة ــ بقصد او دون قصد ــ اقحام الاعتبارات السياسية او الدينية .

وقد اثار « اليازجي » مسألة لغوية وجيهة تتصل بنشوء « اللغة المشتركة » ، على اساس احدى اللهجات العامية القائمة ، وصعوبة تحقيقها قائلا : « فأي تلك اللغات اخترنا للكتابة فيها تفضي بنا الى مثل ما فررنا منه ، وعليه فلا بد في ضمن هذا المطلب من تحويل لغات البلاد كلها الى لغة واحدة ، واذا كان ذلك فلا جرم ان الاولى والاسهل رد الالسنة الى اللغة الفصيحة » .

والظاهر ان انصار اختيار العامية لم يشاءوا العدول عن دعوتهم الخطيرة ، فقام من اسمى نفسه بـ « الممكن » ــ تفاؤلا بامكان ما يذهب اليه على حد قوله ــ يتحدث عن « مستقبل اللغة العربية » متخذا مما اصاب اليونانية واللاتينية والسنسكريتية اطارا لتفكيره ، ليؤكد حتمية وقوعه وقتا ما بالنسبة للعربية ، فهو يقول :

« .. ثم انه اذا صار الاعتماد على اللغة العامية لا تتلاشى اللغة القديمة بل تحسب كاليونانية واللاتينية والسنسكريتية ويصير الناس يتفاخرون بمعرفتها كما يتفاخرون بمعرفة تلك اللغات .. وعندي ان هذا لا بد من وقوعه وقتا ما فعلام لا نكون نحن المبتدئين فيه ؟.. » (٩) ، ويرى في موضع اخر من مقاله امكان جمع «العربية العامية» وضبطها لتوافر « الوسائط » الممكنة من ذلك « فكما تيسر لعلماء القرون الاولى للهجرة ان يجمعوا العربية القديمة مع قلة وسائطهم يتيسر لعلماء هذا الزمان ان يجمعوا العربية العامية ويضبطوها ولا سيما لان الوسائط الممكنة من ذلك قد صارت اضعاف اضعاف ما كانت حينئذ .. (١٠) » .

و « الممكن » بدعوته هذه لم يدرك حقيقة الاختلاف بين اللهجات العربية المعاصرة واستحالة اختيار عامية ما من غير الابقاء على الازدواج بالنسبة للمتكلمين بغيرها على الاقل، كما حاول الايهام بان « الخسارة من ترك اللغة العربية لا تذكر في جنب الفوائد التي تنتج من الاعتماد على لغة العامة » متجاهلا عظم التراث الذي ترتبط به الفصحى ، وتعذر الحفاظ عليه عند التحول عنها . اما المقارنة التي عقدها بين العربية واللغات الاخرى فلم تأخذ بنظر الاعتبار الظروف المغايرة التي تحيط بكل لغة وما لها من دور في حياة المتكلمين بها ، والاسس اللغوية ــ على ما لها من استقلال نسبي ــ لا ينظر اليها بمعزل عن السياق الاجتماعي العام لانها تتأثر ــ في احيان كثيرة ــ بعوامل ثقافية او سياسية او دينية او اقتصادية لا تتفق والقوانين الداخلية للغة .

ولم يكن ينتظر ان تسمع دعوة « الممكن » من غير ان تلقى معارضة شديدة ، وكانت « الجمعية الادبية الدمشقية» في مقدمة المتصدين لها فنشرت بيانا بعنوان « نجاح الامة العربية في لغتها الاصلية » (١١) ذهبت فيه مذهب « اليازجي » وكررت بعض ما قاله بشأن استعمال العامية، ولكن ردها اضاف او اكد الجانب القومي للغة في الدفاع عن الفصحى ملمحا الى ضرورة الوحدة اللغوية والى ما اسمته بالمحذور السياسي الذي عرفته بانه « محو الجنسية المؤذن بالضعف والذل والخسف اذ لا تضيع لغة امة الا بعد اضاعة نفسها واضمحلال جنسها .. » .

ونشر لاسعد داغر تعليقه « استحالة الممكن اذا امكن (١٢) » وقد ردد فيه موضوع التباين بين اللغات العامية حتى في اطار قطر واحد فقال : « ان في سوريا لغات شتى عامية تباين بعضها مباينات من دونها المباينة بين اللغة الفصيحة واللغات العامية » واضاف الى ذلك دعواه بعدم صلاحية لغة العامة لان تكون لغة الكتابة .

وبالرغم من ان «الممكن » قد عاد الى الدفاع عن رايه(١٣) محاولا دحض ما ابداه معارضوه من اراء فاننا نلاحظ انفراده بالدعوة اليها في وجه اجماع على خطورة ما يدعو اليه ، وضرورة الالتزام بالفصحى والعمل على تيسيرها(١٤)

ويبدو ان « الازدواج اللغوي » بقي موضع بحث ونقاش في تلك الفترة ، اذ نجد محرر « المقتطف » يعود الى اثارته في مقاله « تولد اللغات ونموها (١٥) » متحدثا عن نظرية التطور في اللغة وتميز كل فرد بما له من لهجة او لغة تختلف عن لغة غيره من ابناء جلدته ، ومشيرا الى موقف العرب المعادي من لغة التكلم بالقياس الى بعض الشعوب الغربية كقوله : « فالرومان المتكلمون باللاتينية قام فيهم ملوك وشعراء اعتنوا بتدوين لغة التكلم فكان منها اللسان الطلياني وبقيت اللغة اللاتينية في مقامها العلمي ، وكذا اليونان دونوا لغة التكلم المشتقة من اللغة اليونانية فكان منها اللسان الرومي واما نحن المتكلمين بالعربية فلا نزال نهمل لغة التكلم وننوي ان نلغيها ونعود الى لغة الكتابة ويخالفنا في ذلك كثيرون من الافرنج مثل الكونت لندبرج اللغوي الاسوجي واللورد دفرن السياسي الانكليزي * وغيرهما ممن يقول ان لا بد من تدوين لغة العامة والاعتماد عليها » .

ثم تطرق الى محاولة « المقتطف » السابقة ومناوءة الراي العام لتدوين لغة العامة واضطرار اصحاب «المقتطف» الى اغفالها لانهم وجدوها « تتعرض لمسألة سياسية مهمة

لا يمكن للمقتطف ان يخوض فيها » . ولكنه لم يتردد في التحدث ، ولو تلميحا ، عن دور الادب في السمو بلغة العامة الى المستوى الادبي مستندا الى بعض المحاولات في الايطالية : « ولا يبتعد ان يقوم من اهل الوطن من يقدم على تأليف كتاب طلي بلغة العامة فيفتح الباب للتأليف فيها كما فعل الشاعر « بطرس دلي فيني » في اللغة الايطالية . . » .

وعالج « نعمة شديد يافث » الموضوع من وجهة اخرى تربوية داعيا الى تسهيل النحو ، ولا شك في ان ما جاء في مقاله « اللغة العربية والوقت (١٦) » يصدق في غالبه على حالة تعليم اللغة العربية في مدارسنا ، فالمتعلم كان ، ولا يزال ، عاجزا عن الالمام بالقواعد حتى بعد دراسة طويلة تزيد عن عشر سنوات ، ولذلك فهو يلتمس الحل ، ضمن اطار الفصحى ، في البحث عن طريق امين يصل بنا الى « ما نعبر به ـ كما يقول ـ عن افكارنا وتعرب افكار غيرنا بعبارات عروبتها خالصة في وقت لا يتجاوز السنتين او الثلاث » .

وكان من نتائج الاهتمام بالمسألة اللغوية ظهور دراسة حفني ناصف « مميزات لغات العرب (١٧) » وقد قدمها لمؤتمر المستشرقين السابع المنعقد في « فيينا » عام ١٨٨٦ وهي تعد في طليعة المحاولات العربية الحديثة لدراسة اللهجات المعاصرة على اسس علمية ومقارنة خصائصها بما يوافقها في اللغة العربية الفصحى ، وتتبع جذور المشكلة التاريخية مبتدئا باللهجات المصرية وعلاقتها بلهجات القبائل المختلفة . ولم يكن نزوع « ناصف » الى هذا اللون من الدراسة اللغوية ناجما عن مشاركته لرأي الداعين الى العامية او تفضيل اللهجات على الفصحى ، بل كان يهدف الى وصف الواقع اللغوي في مختلف الاقطار العربية والافادة من المواد اللغوية في توضيح نواح مختلفة من تاريخنا العربي الاسلامي . وقد تبعتها ، بعد سنوات ، محاولة عربية ثانية استهدفت دحض ما يقول به دعاة العامية من عرب او مستشرقين وذلك عندما شارك « امين فكري » في مؤتمر المستشرقين (استوكهلم ـ ١٨٨٩) بدراسته « نبذة في ابطال راي القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية في الكتب والكتابة(١٨) » وقد تناول فيها مسألة البعد بين لغة التخاطب واللغة الفصحى ، وما يسبب من عرقلة للتقدم محاولا التدليل على ان البعد اللغوي مبالغ فيه فهو يرى « ان اللغة العامية ـ خصوصا في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب ـ لم تبعد عن الفصيح بما تصير به لغة مستقلة ، وان فساد النطق ليس من الملكات التي يلحق محوها بالمستحيلات بل ازالته ايسر من جعل اللغة العامية لغة مستقلة يتفاهم بها في العلوم والآداب » ، كما انه يؤكد في دراسته ضرورة الوحدة في اللغة الفصيحة لتقدم العرب في جميع احوالهم ، غير انه لم يجد ما يبرر اهمال المفردات المستعملة في لغة العامة ، او تجنب اختيار التراكيب الغريبة من تآليف العامة ، على شرط الصحة والفصاحة ، وذلك لايمانه بوجوب التقريب بين لغة التخاطب والفصحى .

هذه هي الاسس الجوهرية التي تناولها الجدل بين انصار الفصحى ودعاة العامية قبل اكثر من ثمانين عاما ، واذا قارنتها بما ينشر عن المسألة ذاتها من دراسات لوجدت انها لا تزال تطغى على نهجنا ، واننا ـ نتيجة لالتزامنا بها وخضوعنا لها ـ لم نقصر في تفهم طبيعة المشكلة اللغوية تفهما موضوعيا سليما فحسب ومن ثم في معالجتها معالجة تخفف من آثارها في جهودنا التربوية والتثقيفية ، بل تركنا لسوانا من رجال العلم في الغرب او الشرق مسؤولية القيام بدراسات حقلية او صفية واعداد المعاجم التي تتناول اللغة الفصحى ـ كما تستعمل اليوم ـ ومعظم لهجاتها .

صالح جواد الطعمة

امريكا ـ جامعة انديانا

الصمت

لا تخجل
ادخل بيتي
اغرق قنديلك
في زيتي
ولنرقص
في قلب الصمت
تحرسنا الهة الموت

بابي مشرع
اسمع
الهة العميان
تضرع
ادخل
جر خطاك الخجلى
جر الشوق الكهلا
اهلا ..
خبىء في احشائي الثكلى
هذا الجسد الوحلا
خبئه
ولنطو الصمتا
ولندفن آلهة موتى

ناصر بوحيمد



الوعـــــد

●

فُتحَ الباب بعد قرع لجوجٍ … عن فم هش للسلام وحيـا

قلت من أنت فاستعار وقـد جفّ ، جواباً من ناظريه نديـا

أنا ليلى ، ألست تعرف ليلى؟ … من ترى خلتني هدًى أم ثريّا

قـد كفاني سؤال عينيك من أنت ،! فلا تقسُ بالسؤال عليّا

فتفرست في معالم حسنٍ … طامس سحره وكانَ جليـا

فتبينت غيرَ مبسم ليلى … وتبينت غيرَ ذاك المحيّا

قلت ما لي لديك حاجة قلب … ما الذي تطلبين انتِ لديّا

قالت: الوعد كيف أُنسيت حلماً … لك عندي أودعته مقلتيّا

قلت يا ليلى علمتني الليالي … حين يَمطلن أن اكون نسيّا

ربّ أمنيـة بها فجعتني … رجعتْ لي مذْ صرت عنها غنيّا

عدتِ ليلى كما وَعدتِ ولكن … لم يعد ذلك الجمال فتيّا

أجهشت بالملام ليلى كأني … أنا شوّهت حلمي الذهبيّا

أين ذنبي وقدّك اللدن يُلوى … هل تريني لويته بيديّا

أين ذنبي وثغركِ النضر يذوي … هل تريني أذقته شفتيّا

إن تلومي المسيءَ ، هن الليالي … فيك يا ليلى قد أسأن إليّا

أنت لم تكذبي بوعدك لكنْ … أنت وَعد به كذبنَ عليّا !!

فارس سعد

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

الذين يبحثون في الوجودية من حيث نشأتها يبدأون احيانا بالفيلسوف الدانماركي « كيركيفور » ، بل اكثرهم في الحقيقة يبداون بهذا الفيلسوف . ولكن بعضهم احيانا يذكر الفيلسوف الالماني « هيكل » من قبله ويقولون انه كان الباعث على الفكرة الوجودية لدى « كيركيفور » ، وبعضهم الاخر يذكر « هسرل » بأنه هو الذي مهد السبيل بعد « كيركيفور » أمام الوجوديين امثال « هيدكر » و « ياسبرز » الالمانيين ، بل أمام « سارتر » الفرنسي . وقد يذكر الباحثون شكسبير الانكليزي بأنه وجودي ، ويذكرون معه المركيز دي ساد (١٧٤٠ — ١٨١٤) ودو ستويوفسكي (١٨٢١ — ١٨٨١) ، وغيرهما ممن لا يظن بأن لهم اية صلة بالوجودية . وكتب الكاتب الامريكي اولسون مقدمة لتاريخ الوجودية فعاد به الى الفلاسفة اليونانيين ومن جاء بعدهم في القرون الوسطى والفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر و « سبينوزا » (١٦٣٢ — ١٦٧٧) من قبلهم ، ثم الى « هيكل » (١٧٧٠ — ١٨٣١) ومن جاء بعده . والكاتب الامريكي لا يعني بالطبع ان فلاسفة اليونان أو فلاسفة القرون الوسطى كانوا وجوديين بالمعنى المعروف ، ولكنه اراد ان يشرح الخطوات التي مرت بها الفلسفة الغربية الى ان انتهى بها الامر الى الفلسفة الوجودية . ويفهم من هذا بالطبع ان الفلسفة الوجودية لها جذور بعيدة في الماضي ، وانها نشأت في تربة غربية كانت قد مهدت لها في ادوار مختلفة . ويفهم منه ايضا أن اتخاذ الوجودية فلسفة في غير تربتها ان هو الا من قبيل المحاكاة والمتابعة السلبية . ولا أعتقد ان الناظر في معنى الوجودية يستطيع ان يفهم هذا المعنى اذا هو لا ينظر اولا في مناشيء الفلسفة الغربية واطوارها فأن هذه الفلسفة منذ نشأتها عنيت عناية كبرى بمعنى الحياة في هذه الدنيا وبالغاية منها ، وبالدور الذي يلعبه الانسان فيها . وللفيلسوف الالماني كتاب كبير الفه في هذا البحث وسماه « معضلة الحياة الانسانية » اتى فيه على اراء الفلسفة في مكان الانسان من هذه الحياة . وهو في رايي من احسن ما كتب عن هذا الموضوع ، ولعله يكون خير مقدمة لدراسة الملابسات الاولى للفلسفة الوجودية ، ولو أن المؤلف لم يقصد بكتابه ان يكون كذلك ، كما قصد الكاتب الامريكي اولسون المذكور انفا . ولعل من المفيد في هذا المقال ان استعرض هذه الناحية من الفلسفة الغربية باختصار ليكون هذا الاستعراض مقدمة لما قد اكتبه عن هذه الفلسفة بشيء من التفصيل في المقالات الآتية.

يقول الكاتب الفيلسوف الانكليزي (فورتفورد) في كتابه عن سقراط وسلفه وخلفه ان الانسان في حياته الفلسفية يسلك مسلك الطفل في حياته . فالطفل (أولا) لا يفرق بين نفسه والاشياء المحيطة به في الاسابيع الاولى من حياته ، ويرى ان كل شيء يلتقي به هو جزء من نفسه. فاذا كان الدور الثاني بعد شهر أو شبيه ذلك أخذ يشعر بوجود أشياء خارج نفسه ، وهذا هو الدور الذي ينفصل فيه العالم الخارجي عن العالم الداخلي ويصبح الاول مستقلا عن الثاني . ويمثل هذا الدور ناحية مهمة من الفلسفة الغربية وهي الناحية المادية التي تؤمن بوجود أشياء حقيقية بذاتها سواء شعر الانسان بها أو لم يشعر ، كما يمثل الدور الاول ناحية اخرى وهي الناحية المثالية التي تقول بأن الاشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما توجد اذا نحن شعرنا بها عن طريق الحواس . ويمثل الناحية المادية فلاسفة اليونان القدماء المعروفون بالفلاسفة الايونيين والفلاسفة الانكليز الاولون والفلاسفة الفرنسيون في القرن الثامن عشر وماركس . ويمثل الناحية المثالية افلاطون ، وهو زعيم المثاليين ، والفلاسفة في القرون الوسطى والفيلسوف الانكليزي باركلي والفلاسفة الالمان كانت و فختي وهيكل .

وفي الدور الثالث من حياة الطفل ، يبدأ العقل في التفكير بهذه الاشياء وكيف تكون معالجتها والتفاعل معها. وهذا هو الدور الاخلاقي ودور تنظيم المعيشة في المجتمع ، وكيف يجب أن يكون سلوك الانسان في حياته. وفي الدور الرابع ينتقل الفكر الى النظر في اسرار الكون وفي التعجب من القوى الطبيعية ، وهذا يؤدي بالانسان الى الاعتقاد بوجود قوى روحية تهيمن على هذه القوى وتسيرها . ومن هنا يكون الايمان بشيء غير الاشياء المادية أو الطبيعية .

ولا يعني هذا التقسيم بالطبع ان الفلسفة في تطورها سارت على هذا النمط او هذه السلسلة من الادوار. ولكن الفلسفة كانت تمر بشيء من هذا التقسيم ، ولكن الادوار كانت تختلط وتتشابك . فالفلسفة اليونانية بدات فلسفة مادية ، تهتم بمعرفة سر هذا العالم ، على ايدي الفلاسفة الايونيين امثال تاليس وديمقريطس . فهي فلسفة اهتمت بالعالم الخارجي اي باكتشاف الطبيعة . ولكنها تحولت على يد سقراط من العالم الخارجي الى العالم الداخلي ، واتجه الانتباه الى الانسان نفسه والى معرفة نفسيته ، بعد أن أخفق الفلاسفة القدماء في اقناع المفكرين بصحة ارائهم عن هذا العالم. واعتبر سقراط هذه الاراء من قبيل العبث لانها ابعدت الانسان عن البحث في نفسه وفي مصيره وفي مسلكه في هذه الحياة ، وما الغاية من

العيش في هذه الدنيا . وكان سقراط في مقدمة الذين قالوا بأن الغرض من الحياة هو السعادة ، وبأن السعادة لا تنال الا بكمال النفس . وقد اختلف الفلاسفة منذ سقراط في معنى هذه السعادة ، وقسموا الناس الى ثلاثة أقسام : ١ ـ اللذين يرون السعادة في اللذة ٢ ـ الذين يرونها في النجاح والشرف والشهرة ٣ ـ الذين يرونها في العلم والحكمة . فسقراط ، كما قلنا ، يرى السعادة في كمال النفس عن طريق الصلاح ، وهذا يكون عن طريق المعرفة اي معرفة النفس ومعرفة الخير من الشر. فكأن سقراط بهذا القول قد سبق الوجوديين بالدعوة الى الاهتمام بالنفس قبل الاهتمام بالعالم الخارجي. وقد سبقهم ايضا بقوله ان الانسان حتى يكون شخصا كاملا يجب عليه ان يكون مستقلا بذاته من ناحية اخلاقية وان يتصرف بحياته بنفسه . وهو وان خضع لسلطة خارجة عن نفسه فانه يبقى هو المسئول عن اطاعة هذه السلطة بمحض اختياره . ويجب على الفرد ان لا يستسلم لكل مبدأ اخلاقي في هذه الحياة ، بل يجب عليه ان يمحض هذا المبدأ وان يحكم عليه حكما عقليا ، فاذا لم تثبت لديه صحته فعليه ان يرفضه . هذه الاقوال وامثالها هي التي اثارت السلطات المدنية عليه وعدته مفسدا للشباب وهداما للمجتمع وخائنا للدولة ، فحاكمته وحكمت عليه بالاعدام سما . ولذلك فان الوجوديين الذين يدعون الى تحرر الانسان من كل قيل ويلقون عليه مسئولية الاختيار في تصريف حياته انما يرددون كثيرا من اراء سقراط. وكاد سقراط بهذه الاقوال ان يقترب من العقيدة الوجودية وهي ان الحقيقة ليست موضوعية ولها وجود ذاتي ، بل انها شخصية تتأثر بنفسية الشخص وبعوامله العاطفية . ولكنه فتح الباب امام السفسطائيين والرواقيين في زمانه ومن بعده فتوسعوا ببعض افكاره وزادوا عليها .

والدور السفسطائي في الفلسفة اليونانية يمثل دور المراهقة في الانسان على راي فورتفورد المشار اليه آنفا . فان المجتمع اليوناني بعد الحرب الفارسية في الربع الاول من القرن الخامس قبل الميلاد كان شبيها بحالة المراهق الذي يريد ان يتحرر بنفسه من قيود مجتمعه . وفي تلك الحالة قام السفسطائيون ينادون بمعارضة قوانين الدولة والعادات المتبعة في المجتمع لانها منافية للقوانين الطبيعية. وقالوا ان الفرد حر في ان ينشد ما يراه مناسبا له من حيث ملذاته ومنافعه الخاصة . ومن اشهر الاقوال السفسطائية قول «بروتاكورس» بان الانسان هو معيار كل شيء ، اي ان ما يراه الانسان من نفسه هو معيار الحكم على الاشياء أن كانت خيرا او شرا ، ولا توجد معايير مطلقة يعرف بها الانسان الحقائق او الدين او الاخلاق . وكان السفسطائيون يقولون ان الدين والاخلاق من صنع الانسان ، وكذلك التقاليد والعادات المتبعة . فكانوا بذلك معول هدم في المجتمع ، وكانوا عاملا كبيرا على نشر افكار تحللية ، ورد بعضها في كتابات « ايسكلس » حين قال ان العالم مبني على الشر ، وانه لا يوجد في السماء ولا في الارض شيء يمكن الانسان ان يثق به او يركن اليه . وهذا القول ، كما لا يخفى ، شبيه باقوال العدميين Nihilists الذين يعد الفلاسفة الوجوديون من جملتهم . وجميع الافكار الهدامة للمجتمع اكسبت السفسطائيين صفة السفسطة بمعنى المراوغة في الكلام واستعمال المنطق في احقاق الباطل او في ابطال الحق . وزعيم هذه الطبقة هو الفيلسوف « بروتاكورس » ، وله آراء قريبة من آراء الوجوديين . فهو يقول انه لا وجود لشيء اسمه حق او باطل على الاطلاق ، وان الاشياء لا حقيقة لها الا ما يتراءى للشخص عنها ، وان الانسان هو معيار كل شيء .

والرواقيون يعالجون مشكلة الانسان من ناحية اخرى . فانهم يقولون ان السعي للحصول على الملذات في الحياة لا يؤدي في النهاية الى التمتع بهذه الملذات مدة طويلة ، فالمجاهدة في تطلب ذلك مضيعة للقوى وللوقت . والحل الوحيد للابتعاد عن حياة خادعة غارة هو كبت الشهوات والقبول بالاشياء على ما هي عليه ، فليس في الامكان ابدع مما كان . واذا كنا لا نستطيع التحكم بالاقدار الخارجة عن طوع ارادتنا، ففي امكاننا التحكم برغباتنا وآمالنا ومخاوفنا. والحياة في هذه الدنيا يقتضي لها التسليم ، بدون طموح او مغالبة . ومع ان هذه الفلسفة قد نصفها بفلسفة الاستسلام والاستكانة ، غير ان لها صفة اخرى وهي صفة التحكم بالنفس ، وممارسة الارادة القوية . فهي من هذه الناحية تنم عن حيوية كبيرة ، والفرق بينها وبين الفلسفات الاصلاحية هي ان الفلسفة الرواقية لما كانت لا يستطيع اصحابها تغيير المجتمع ، عمدوا الى تغيير النفس ايمانا منهم بان هذا السبيل هو خير ما يسلك لنيل راحة البال والسعادة . وفي هذا شيء من فلسفة العزلة عن الناس او من فلسفة التنسك التي دعا اليها ابو العلاء المعري ، ولعل بين مجتمع الرواقيين بما فيه من اضطراب وتفكك شبها بالمجتمع الذي كان يعيش فيه ذلك الشاعر العربي. والاعتماد على قوة الارادة في فلسفة الرواقيين شبيه بما يقول به الوجوديين عن اتخاذ القرار الحاسم عند تأزم الامور . ثم ان الرواقيين في سلبيتهم اقرب ما يكونون الى الوجوديين من حيث ان هؤلاء يدعون الى سلبية من نوع آخر وهو نقل الصراع من صراع مع القيم الخارجية الى صراع داخلي .

وحركة الرواقيين لها عكس في حركة الفلاسفة اليونانيين بعد سقراط . فافلاطون مثلا يرى ان الاشياء على قسمين : قسم دائم ثابت ، وقسم في دور التغير والصيرورة دائما. فالاشياء في هذا العالم هي من القسم الثاني ، فهي لذلك احط منزلة من القسم الاول ، وهي لا تستحق العناية التي تستحقها الاشياء في القسم الاول . فعلى الانسان اذن ان يسعى للتقرب من الحياة المثالية للوقوف على الحقائق

المجردة في هذا الكون . وهذه الفلسفة هي فلسفة معظم الفلاسفة المسيحيين في القرون الوسطى ، بل هي من صفات الديانة المسيحية التي تحتقر الدنيا وتدعو الى الملكوت السماوي . وعلى هذا فان افلاطون يرى ان الاشياء التي تستحق التأمل والنظر اليها هي المثل العليا التي تتصف وحدها بالكمال وبالثبات . اما ارسطو ، تلميذ افلاطون ، فلم يعترف لافلاطون بان الاشياء في هذا العالم ليس لها كمال ولا ثبات ، بل قال ان كل شيء في هذا العالم له ماهية يشترك فيها جميع الاشياء التي من نوع واحد ، وان هذه الماهية ثابتة دائمة ، فاذا مات انسان مثلا فان الماهية تبقى في النوع وفي الناس الغابرين بعده. وسيأتي الكلام على هذه الفكرة عند الكلام على « هيكل » الفيلسوف الالماني وعن مخالفة « كيركيغور » له ، تلك المخالفة التي كانت فاتحة للفكرة الوجودية .

ولكن اهم الفلاسفة الاولين في تطور الفكرة الوجودية هما « سينوزا » و « هيكل » . فالفيلسوف سينوزا لا يهتم باقوال افلاطون ، ولا يعتقد بوجود اله كالذي تعتقد به اليهودية والمسيحية . فهو يعتبر الطبيعة اوجدت نفسها بنفسها . فالوجود كله هو الحاوي على كل شيء ، وليس لشيء مخلص منه ، وكل حادث يجري في هذا الوجود يجري بحكم الضرورة ، بحسب قوانين مقررة . فالرجل العاقل اذن هو الذي يرى راي الرواقيين ، فلا يسعى الى تغيير الاشياء في محيطه ، بل يقبل بالاشياء كما هي . ويقول سينوزا ان سبب الخوف والحسد والغضب والاسف ان الانسان يريد الاشياء ان تكون على غير ما قدر لها . ولكنه لو سلم بالامر لكان خلوا من منغصات الحياة . ويمثل سينوزا على ذلك بقوله ان الانسان يغضب ويحتد اذا سرق شخص منه شيئا ، ولكنه اذا تذكر ان هذه السرقة هي من مقررات الطبيعة التي لا مفر منها فانه قد يجنب نفسه كثيرا من المتاعب والالام . فيجب اذن توسيع افق الفكر في هذه الحياة واخذ الامور على علاتها . وفي هذا مصدر غزير من موجبات السعادة والهناء ، وفيه عون كبير على توقي شرور المجتمع ومصائب العيش . بل ان الانسان بذلك يتحلل من الارتباط بحطام هذه الدنيا ، ويتحرر من العواطف التي تلازم الارتباط بهذا الحطام . وقد يخطر في البال هنا ان في فلسفة سينوزا هذه كثيرا من الفكرة الاسلامية والعربية ، وهذا ليس بمستبعد لان سينوزا كان على اتصال بشيء من هذه الفلسفة عن طريق الفلاسفة اليهود في القرون الوسطى، وهؤلاء كانوا ، كما هو معروف، تلامذة للفلاسفة العرب . وسنأتي في مقال لاحق على فلسفة الفلاسفة الفرنسيين في القرن الثامن عشر وفلسفة « هيكل » تمهيدا للدخول في بحثنا عن تطور الفكرة الوجودية بعد هذه المقدمة .

لندن — حسن الكرمي

سهام كيوبيد

●

«جلسا بميدان بيكادلي في لندن ... في رحاب تمثال كيوبيد ، يتناجيان ويتلقيان بقلبيهما سهام رسول الحب ... »

« كيوبيد » صفق اذ راى
قلبي وقلبك يرقصان
وعلى اديم رحابه
من لوعة يتشاكيان
يتناومان فيضحكان
ويصحوان فيبكيان
اطرقت يشملك الحياء
وتلك من شيم الحسان
ويداك ترتعشان ...
بالارض البليلة تعبثان
شفتاي تمتمتا الى
شفتيك ... ما لا تفهمان
هي آية في الحب
تتلوها الشفاه عن اللسان
او سر هذا الكون
باح به الجنان الى الجنان
وسمت بروحي نشوة
عبرت ... ولكن في ثوان

قلبان بالشوق العنيف
وناره يتأججان
قلبان للحب المقدس
والطهارة هيكلان
قلبان قد كتما الهوى
ومضت تبوح المقلتان
قلبان ، والدنيا تضج ،
تلفت يتهامسان ...
قلبان مقتربان ... يلتمسان
في النجوى الامان
يا ليت لم نصح اذ
غبنا .. ولم يئن الاوان ...
يا ليته وقف القضاء
هناك ... او وقف الزمان !

لندن — سعيد العيسي
من العروة الوثقى

قصة

حكاية امرأة صغيرة

بقلم عبد الرحمن ابو عوف

كان الغروب يزحف بوحشته ويغرق بسمرته الجبل والنيل والاشجار ، وهبت نسمات طرية منعشة . . .

غير انه لم يشعر بالمتعة في تأمل الغروب من هذا المكان كما تعود كل يوم ، بل ان الشرفة تبدو له ضيقة رغم اتساعها وخواطر محمومة تدور في راسه وثمة شيء غريب يحترق في داخله .

فهو كلما خلى في البيت وهذه المراة وطفلتها الصغيرة وشعربحركتها في الشقة ولمح خطواتها البطيئة الريفية ادرك انها تحت يده تطيع اوامره في طيبة حلوة كوجهها الصغير الدافىء كلما تملكته حالة اضطراب وقلق .

لقدحضر هنا عند اخيه في الصعيد من اربعة ايام ممنيا النفس بتمضية اجازة هادئة وها هو لا يجد الهدوء فهذه المراة الصغيرة التي تعمل عند اخيه بجسدها الممتلىء تثير فيه كل كوامن الشهوة ولقد قاوم هذه الخواطر ولكنه يشعر بمضي الوقت بزبول في ارادته وكأن شيئا يقوده لطريق مجهول .

وكان الليل قد تكاثفت ظلمته وخيم السكون حول الشرفة وسبحت اشباح المنازل المتباعدة بانوارها الضئيلة في بحور من الليل وكانت تمر اشباح رجال ونساء على الجسر وبدأ نقيق الضفادع يمزق رهبة السكون وصمم على ان يقوم ويغرق نفسه في القراءة وادار مفتاح النور ولكن النور لم يضاء فعاد الى مكانه في ملل وافكار كثيرة تضنيه افكار عن المراة وعالمها وكيف يدخله ويعرف ما يدور فيه .

لقد مرت سنوات المراهقة في عصبية وقلق ووجد نفسه في الحادية والعشرين ولم يقرب امراة وها هي الظروف تقدم له فرصة نادرة ، فالمراة منذ ان حضر الى البيت وهي تتودد له وتضحك في سذاجة كلما واجهها وترخي عينيها .

وهذا الصباح كانت تجلس الى الغسيل وتكشف عن ركبتيها المستديرتين في اغراء ولم تتحرك عندما شعرت به يمر خلفها وحاول ان يقنع نفسه انه يضخم اشياء عادية وان خياله المحموم هو الذي يصور له هذه الاشياء بهذه الطريقة وفوجىء بشبح المراة يتحرك في الحجرة ويقترب من الشرفة واحس بها وبدأ الجو يعبق برائحتها وادار راسه فوجدها تقف وراسها الى اسفل ويديها تعبثان بجلبابها وطال الصمت لحظة فقطعته المراة في صوت منخفض هامس :

ـ اي خدمة يا سيدي . . . اصل اصل نعيمة نامت .

وحاول ان يخفي اضطرابه ويطفىء النار التي اشتعلت في داخله في كلمة لفظها في توتر .. اريد فنجان قهوة .

وتحركت المراة في بطء وانكسار رق له قلبه وشعر بعطف نحوها وناداها ام نعيمة لا تنسي ان تصنعي لنفسك فنجانا ايضا .

وردت عليه وعينيها ترنو اليه في ود :

ـ الله يخليك يا سيدي .

وعاد يمسح بعينيه الجسر والفضاء والمشاعل المنثورة على الجسر وحولها الصعايدة يجلسون في حلقات واصوات متباعدة تتلاقى في صوت واحد يلتقي بنقيق الضفادع وعواء الكلاب من بعيد وشعر بحنين الى الجالسين حول النار وهي تتوهج وتضيء وجوههم السمراء الصلبة وحول حلقاتهم تتحرك على الارض ظلالهم وتهتز .

وتمنى لو شاركهم هذه الجلسة وشرب الشاي الاسود واستمع لاحاديثهم ولغطهم وحضرت المراة ووضعت في خفة امامه فنجان القهوة وكوب الماء وشعر باضطرابها وهي تحمل له كوبا صغيرا مملوءا بالقهوة فاخرجها من موجة الخجل التي اغرقتها قائلا في نبرة تودد :

ـ لماذا لا تجلسي يا ام نعيمة وتشربي القهوة هنا وتكومت المراة على الارض امامه وعدلت في ثيابها وبدات ترتشف هي كوب القهوة في لذة وتنظر اليه نظرات مغلفة ببريق من الدهشة والاستكانة وقرر ان يبادلها الحديث لعله يطرد الملل الذي بدأ يشعر به في هذه البلدة الهادئة .

ـ قولي لي يا ام نعيمة ما هي بلدتك .

واجابت بعد فترة دهشة اطلت من عينيها :

ـ ابو قرقاص يا سيدي .

ـ وايه اللي جابك المنيا ؟

وتنهدت المراة ومرت سحابة خفيفة عكرت صفو وجهها المستدير ورنت بعيدا نحو الجبل وتمتمت في صوت ضعيف :

ـ الحوجه يا سيدي .

واحس انه مس منها ذكرى اليمة وانب نفسه غير ان حب الاستطلاع دفعه ليستزيدها .

ـ احكي لي يا ام نعيمة .. وكيف حضرت الى المنيا .

وكانت قطة ام نعيمة قد تسربت الى الشرفة وحومت حول المراة فمدت يدها ومسحت بها على راسها واخذتها في حجرها واستكانت القطة في احضان المراة وعينيها تضيء في حجرها المظلم .

كانت ثمة علاقة تقوم في ذهنه بين عيون هذه القطة وعيون المراة

والنظرات المتواضعة المتسائلة المستأنسة كل هذا جعله يشعر بالقرب اكثر لهذه المراة الجالسة تحت قدميه .

وطلب منها مرة اخرى ان تحكي له .

وتحركت الشفاه الصغيرة ورن صوتها في الشرفة بدا متهدجا ثم اخذ يقوى شيئا فشيئا .

ام نعيمة تنشأ كما ينشأ آلاف غيرها من بنات الصعيد لم يكن عند ابوها طين وكان يغيب عن الدوار شهورا مع انفار الترحيلة ، ثم يحضر فيملأ عليهم الدوار بالزاد والطعام والملابس والحلوى وساعتها كانت امها واخوتها يتحركون في الدوار في فرح وسرور وحبور وكم دارت هي واولاد الكفر في الغيطان واستحمت في مياه الترعة الدافئة تحت الشمس الحنون واحيانا تجمع روث البهائم واحيانا تسرق عيدان القصب وتقف هي والاولاد على الجسر ليبيعوا لاصحاب العربات المارة ، وغالبا ما تسرح بخيالها مع القطار الذي يمر كثعبان ضخم مخترقا الكفر كانت الوجوه النظيفة الحمراء والنساء الجميلات بملابسهن النظيفة خلف نوافذ القطار تجعلها دائما تحلم بالحياة الموجودة وراء الغيطان والكفر ، الحياة التي يأتي منها القطار ويذهب اليها .

وكبرت ام نعيمة كما تكبر البنات في الكفر وتزوجت ايضا كما يتزوجن في الكفر كان صالح ابن عمها وجاء مع الطبل والرجال والحمل وحملوها في دوار ابيها وسط غناء وزغاريد الاقارب الى دوار صالح وعاشت مع صالح كما عاشت امها مع ابيها فصالح يغيب ايضا عن الدوار مع عمال الترحيلة ويحضر اليها بعد كل غيبة ومعه ملابس من البندر وكحل ومناديل الوانها جميلة واحبها صالح دائما واكثر عندما ولدت له نعيمة .

وغاب صالح في الترحيلة ذات يوم وقلقت عليه وحلمت احلاما مزعجة واخيرا عاد اليها .

عاد يلعن ويسب مقاول الترحيلة ويقسم بشرف ام نعيمة الا يعود يعمل مع هذا اللص وقرصته البطالة بنابها الازرق ورحل عن الكفر الى المنيا عند قريبهم الممرض بمستشفى المديرية .

وكم حاول صالح ان يجد عملا دون جدوى واخيرا جاء الفرج واغراه واحد في بلدته ان يعمل في القاهرة ام الدنيا بعمل معه في اعمال البناء فهناك البيوت بكثرة والعمل مضمون والرزق وافر ودفعت الفكرة صالح الى القاهرة واقامت هي مع زوجة الممرض القريب لهم واغراها الممرض ان تخدم في بيت طبيب المستشفى وتجمع لها قرشين هي الاخرى حتى يعود صالح فيمكن ان يعيشوا بما كسبوه ويفتحوا دكانا صغيرا ، وكان ينظر لوجهها وهي تحلم بعودة صالح وبالدكان وبقلبها الذي يأكلها عليه من خطر المدينة الكبيرة عليه وفي عينيها بريق وتصميم وشعر انها تكبر وتكبر امامه وتملأ الشرفة .

وكان القمر قد توسط السماء وبدات انواره تغمر قطاعات كبيرة من السحب المتحركة في بطء وتكاسل في افق السماء اللانهائية .

وبدات اجزاء من الجبل والنيل تتضح وادار مفتاح النور ففوجيء بالنور يضاء .

وشعر براحة وخدر يتسرب الى جسده وظل يتأمل المراة وهي تبلع ريقها وتدعو لزوجها وارتفع بكاء نعيمة الصغيرة على بعد فقامت المراة لترى ابنتها وكان يتمنى هو ان يقوم ويقبل نعيمة الصغيرة ويطلب منها في صمت ان تغفر له ما دار في راسه من رغبة مجنونة في امها .

القاهرة — **عبد الرحمن ابو عوف**

وهم ...

*

كان حلما .. واندثر
ومضت ايامنا ، فابتسمي ..

ليس ما عشناه الا محض وهم وصور
قد علاها اليوم قبر من غبار اسحم
يا لـه من حلم !
اخضر اللوحة ريان نضر
سفعته الريح في ليلة رعب .. فانتحر !
وبقينا بعده محض غريبين عبر
بهما يوما قطار الزمن
ومضى يبحث في صحرائنا عن مدن
يلفظ الناس زمر
في زواياها .. ويأتي بآخر
ويضيع العمر في هذا السفر
ضائعا يبحث عن معناه بين الدمن
في نهار مظلم ..

كان حلما .. واندثر
ومضت ايامنا .. فابتسمي !.

بغداد — **شاذل طاقة**

طاغور والطفولة ..

بقلم ليلى المالح

***

لم اكن استطيع ان اجد لطاغور صورة غير صورة الهند نفسها ، ثلوج هيمالايا ، كبرياء الجبال ، والحنو الدافىء الذي يحضن ارض الهند ... الفاتح الدفاق الكتوم ... الفاتح الذي شهد اكثر من حكاية واكثر من عبقرية .. والبحر العميق العميق الذي روى قصة شمس الشرق ، روعة الشرق وعبقريته . ذاك هو طاغور .. طاغور الهند والشرق بل طاغور العالم .

سألت طفلا ، كان في الحادية عشر من عمره ، اتعرف من هو طاغور ، اسمعت باسمه ، فلم ادهش اذ قال .. طاغور .. لقد خلق لنا ، ومات من اجلنا .. لقد كان صديقنا جميعا .. كان يروي حكاياتنا .. نحن الصغار .. حكايات دنيانا .. حكايات اغانينا .. لا يا صديقة ... انا اعرف طاغور .

وطاغور الذي احب الاطفال كان بدوره طفلا صغيرا كهؤلاء الذين يحبهم ، ففي عام ١٨٦١ وفي السابع من شهر مايو استقبلت مدينة كلكتا طاغور الطفل . لم يكن رابندرانات عبقري الاسرة الوحيد ، فاسرته واحدة من اسر الهند العريقة ، ذات صيت ذائع ، وثقافة عميقة سواء في دنيا السياسة ام دنيا الادب . كان جده راعيا للفنون والاداب في عصره بينما كان ابوه من اعظم المصلحين الاجتماعيين ، هذا بالاضافة الى ان اكثر من واحد في اسرته قد نبغ في الرسم والموسيقى والادب ، كأنما كان النبوغ وراثيا في اسرة رابندرانات طاغور هذه .

ولعل نشوء طاغور في جو ثقافي كهذا اتاح له فرصا عديدة جعلت منه عظيم الهند فيما بعد . في سن مبكرة ابدى ولعه بالادب والتمثيليات ، وفي الرابعة عشرة من عمره نشر متفرقات من الشعر والنثر في بعض المجلات . في السابعة عشرة الف اولى تمثيلياته رودرا ستاندا وهي في ١٤ مشهدا ولا تتجاوز ابياتها ٨٠٠ سطر .

ولم يكن عطاؤه في مجال الادب وحده ، بل لقد شارك اخاه جيوتي في تأليف بعض الالحان والاغاني كانت تمهيدا لوصول رابندرانات الى درجة منظورة من الفن الموسيقي كانت اكمالا للموهبة الفنية التي رزق بها .. وهي موهبة الرسم . ان عطاء كهذا يندر ان يجتمع لشخص واحد . وان يتجسد في انسان واحد نبغ فيه ، ولكن طاغور كان ذلك الانسان الشاعر ، القاص ، الفنان ، المسرحي والموسيقي المعلم والمربي . كان كل شيء في شيء واحد . جسد واحد وربما كان هذا العطاء الدفاق الخير وهذه الروح المستعدة دوما للبذل من اجل الافضل ، وربما كان هذا هو السبب الاول لنيل رابندرانات طاغور جائزة نوبل في عام ١٩١٣ .

في الحقيقة اننا نشعر دائما بوجود طاغور الانسان ، ربما لانه يشعر دائما بوجودنا نحن البشر ، لانه يقدر قيمة الانسان بحد ذاتها ، لانه يقدس الانسان ففيه تتجلى قدرة الخالق. وبما ان طاغورا عاش من اجل كل البشر . فلم لا يحبه جميع البشر . لقد كان بقربهم جميعا . بقرب كل فرد . كان ينصحه وكان يعلمه .. رآه يختلف مع اخيه فاوجد السلام بينهما . رآه ينغمس في المادية التي تسللت الى عالمه فحاول ان ينقذه منها ، ورآه يحاول ان يسيطر ، ان يحسد، ان يصبح جشعا فقال له على لسان الطفل الملاك :

« انهم يصيحون ويقاتلون ، يحك في صدورهم الشك واليأس ، انهم لا يعرفون نهاية لمنازعاتهم . دع حياتك يا طفلي ، تتألق بينهم ، كشعلة من ضياء سني نقي ، دعهم يفزعوا ، مبهورين ، الى الصمت . انهم قساة في جشعهم وحسدهم ، ان كلماتهم كمدى خبيئة ظمأى الى الدم . اذهب الى هذه القلوب العذبة ، وقف بينها ، واحدر اليها نظرتك الرقيقة ، كالسلام الرحيم المتطامن من السماء الى كفاح النهار . دعهم ينظروا الى وجهك يا طفلي ، ليتأتى لهم فهم معنى الاشياء كلها ، دعهم يحبوك ، ليحب بعضهم بعضا . تعال واجلس في قلب اللانهاية يا طفلي ، وحين ينشق الفجر ، افتح قلبك وارفعه كزهرة منورة ، واحن راسك حين تغرب الشمس ، وتمم في صمت ، عبادة النهار » .

فطاغور خاطب العالم كله ، فلم يعن كون طاغور شرقيا ان يهب نفسه من اجل الشرق وحده بل كانت تجارب طاغور العديدة هي هدية رابندرانات للعالم نفسه ، العالم الذي استقى تجاربه منه . فقد زار طاغور اكثر اقطار العالم ، واطلع على ثقافات متعددة ، كانت الثقافة الانكليزية اكبرها تأثيرا وبخاصة بعد زياراته لانكلترا نفسها وبعد قراءاته المتعددة على جوانب الكتابات الانكليزية المتعددة . كل هذا لم يترك اثرا في نفس طاغور فقط وانما ترك بالتالي آثارا في حياة الغرب خاصة فقد حاول رابندرانات اكثر من مرة ان يساعد الغربيين في حياتهم وان يخلصهم من الجو المادي الذي يعيشون فيه ، فانطلق يحدث الجميع ، يحث كل ابيض وكل اسود ببساطة طفل ونبي . وكانت الملايين تستمع اليه من خلال المذياع بينما كانت صوره مادة حية ينقلها الفنانون بالوانهم لتعيش من بعدهم الى جانب تماثيله التي ملأت المعارض في ارجاء العالم . ومع هذا فقد كان طاغور لا يحفل بشيء من هذا . بل كان اني ذهب واني توجه لا يعنى باحد الا بالاطفال ، ربما لانه كان يشعر بانهم هم الذين يستطيعون فهمه فقط .

دمشق — **ليلى المالح**



محمد رجب البيومي

يقظة التفكير الاوربي وصوت ابن رشد

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

الفلسفة اسلوب ومنهج قبل ان تكون معارف وكليات ، فذو الفلسفة عميق الفكرة بارع التحليل يسبر الاغوار ويرصد الابعاد والاطوال ، لذلك كان اصحاب الفلسفة ممن يمارسون الادب على جانب قوي من البصيرة والنفاذ ، يصدرون عن اصالة حية ، ويتجهون بأفكارهم الخصبة وجهات سديدة صائبة ، وقد اورثوا الادب في شتى فنونه المختلفة من مقالة وقصة ورسالة وملحمة دسامة قوية حية فوجهوا الادباء الخلص الى العمق والاحاطة والاستشفاف ، والاحتكام الى موازين دقيقة في المقدمات والنتائج ، أما الفلاسفة الادباء ممن رزقوا روح الفنان وعقل الحكيم ، فقد جاءت كتاباتهم نمطاً رفيعا من الابداع ، فمقالات بيكون الادبية تجمع بين العمق الفلسفي والخيال الادبي جمعا رائعا يدهش القارىء ويروعه ! واسلوب فولتير ذو سحر رائع لا يقاوم لان الفلسفة الصائبة تحيط به من اقطاره وتوطىء له الدعائم والاسناد ، ولولا نصيب ويلز من الفلسفة ما اقتعد ذروة الادب في تاريخ انجلترا المعاصر !! ومهما وجد لدى كتّاب اوروبا في عصور النهضة من دسامة وقوة فمرجعه الى تعاطي الفلسفة والصدور عنها فيما يتناولون من بحوث !! لذلك لا نكون مبالغين حين نجزم بأن أسلوب الفلسفة في البحث قد اكسب الادب قوة حية جعلت رجاله زعماء نهضات ودعوات ! ومن قل نصيبه منها فهو دون أصحابها استقامة سبيل واتساع أفق وارتفاع تحليق!

وحين نرصد مهاب الفلسفة على أوروبا في افتتاح عصر النهضة ، نجد ابن رشد صاحب الصوت المجلجل في ايقاظ الاسماع وتنبيه الغافلين الى اساليب الفلسفة ومناهجها في البحث والدراسة ، ثم يأخذنا العجب كل العجب اذ نرى هذا الفيلسوف الاندلسي المسلم لا يجد حوارييه في ابناء لغته ودينه من المشارقة ، ولكنه يجدهم في اليهود من اطباء واحبار وفي المسيحيين من اباطرة واساتذة وكهنة ، هؤلاء هم الذين نقلوا كتبه وشروحه وترجموا افكاره وبحوثه ، فهدتهم الى مفاتيح الثروة الفكرية الخالدة واصبحوا بها اغنياء مترفين !

قدر على ابن رشد ان يأتي بعد الغزالي ، ليرى نجاحه الساحق في هدم الفلسفة بالمشرق حيث حاربها ابو حامد محاربة مكتسحة ظافرة ، حاربها باسلحتها المنطقية بعد ان خبرها ووقف على ما ظنه مقاتل مبيدة ، وقد قسم الفلاسفة الى طوائف مختلفة ، فطائفة جحدت الصانع وقالت بقدم العالم وطائفة انكرت البعث وما يعقبه من ثواب وعقاب ، وآخرون توغلوا في دراسة الرياضيات والطبيعيات والمنطقيات والالهيات ، فأصابوا مرة واخطئوا مرات ! وقد اختلط الخطأ لديهم بالصواب اختلاطا لا يثمر غير التخبط والارتكاس ثم مضى ينقض براهين الفلاسفة بامثالها مستعينا بالاقيسة والحجج العقلية تارة وبالادلة الشرعية من نصوص قرآنية واحاديث نبوية تارة اخرى ، ناهجا نهج علماء الكلام في الرد والتوهين ، ثم اعلن في النهاية فقدان الثقة باقيسة المنطق وبراهين الفلسفة ورأى في التصوف منجاة الحائر ، وملجأ المسترشد ، اذ يدرك به من الاطمئنان النفسي ما لا يدرك بالحجج والاقيسة وكان تصوف الغزالي تصوفا معتدلا بعيدا عن مغالاة النظريين من ذوي الشطحات وقريبا من منهج الصحابة في الزهد والخشوع والتواضع فوافق اهواء الناس لعهده ، فاعتنقوه عن اخلاص ورغبة ، ونفروا من الفلسفة نفورا جعلها مدعاة الزندقة وباب الالحاد .

وقد حاول ابن رشد ان يعيد للفسفة مقامها لدى المسلمين بعد أن تساقطت مترنحة تحت ضربات الغزالي فألف كتابه تهافت التهافت يرد به على كتاب الغزالي الشهير تهافت الفلاسفة ، وقد قال في مقدمته ان تعرض ابي حامد الى مثل هذه الاشياء على هذا النحو لا يليق بمثله لانه لا يخلو من احد امرين : أما انه فهم هذه الاشياء على حقائقها ثم ساقها على غير وجهتها وهذا فعل الاشرار ، واما انه لم يفهمها على حقيقتها فتعرض للقول فيما لم يحط به علما وهذا من فعل الجهال ، والرجل يجل عندنا عن هذين الوصفين ، ولكن لا بد للجواد من كبوة ثم مضى يناقش ابا حامد في كل ما تعرض له ! ولكن كتاب ابن رشد عن الغزالي لم يجد من يقرؤه في الشرق ، وظلت آراء الغزالي في الفلسفة راسخة لا تتزعزع ! حتى مطلع القرن العشرين اذ نقل الاستاذ فرح انطون فلسفة ابن رشد الى قراء العرب مترجمة عن رينان ! فبدأ الفيلسوف الاندلسي يأخذ مكانه

لدى ابناء لغته ودينه ! اما اثره البعيد في التفكير الاوروبي بعامة منذ فارق الحياة فهو ما نحاول ان نجلوه في هذه السطور لنرى كيف دقّ الاجراس المرنة في عالم نائم غافل فلفظت المضاجع على رناته المجلجلة جنوب النائمين !

لقد جاء دور ابن رشد في المعترك الفلسفي بعد ان تقدمه في الشرق افذاذ نوابغ من امثال الكندي وابن سينا والفارابي واخوان الصفاء ممن اسهموا في البناء الفلسفي اسهاما تردد صداه في كل مكان حتى وصل الى الاندلس فانتج بها فلاسفة حكماء من امثال ابن باجه وابن طفيل وابن زهر وكأن الاقدار قد جعلت ابن رشد خاتمة هؤلاء ليستطيع ان يقرأ ما كتبه سابقوه قراءة الفاحص الناقد ثم يضع النتائج النهائية لدراسته المتأملة ! وهو بعد صاحب ذهن فلسفي بعيد المطارح ، وقد عشق ارسطو عشقا تمكن من نفسه وسيطر على نزعاته حتى عده المثل الاعلى للفكر في الحياة بل ارتقى به عن الحدود البشرية الى ان صار في اعتباره المفكر الالهي ، وقد قال عنه في مقدمة كتابه عن الطبيعيات انه اعقل أهل اليونان وواضع علوم المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة اذ ان جميع من اتوا بعده من الفلاسفة لم يستطيعوا ان يزيدوا شيئا عما وضع او ان ينقدوا قضية وصل اليها ، ثم قال « فلا ريب في ان اجتماع هذا العلم في انسان واحد أمر عجيب يوجب تسميته ملكا الهيا لا بشرا ولذلك كان القدماء يسمونه ارسطو الالهي ! »

وقد دفعه هذا التقدير البالغ الى شرح اكثر ما كتب ارسطو من المؤلفات شروحا مختلفة منها الوجيز والمتوسط والمبسوط ، واذا كان ابن سينا قد خالف ارسطو في كثير من قضاياه فان ابن رشد قد هاجم مخالفيه ، ووقف وقفات حاسمة امام ما عورض به واصبح في نظر التاريخ الفلسفي الشارح الاكبر لفيلسوف اليونان ، وتعرض الى محن كثيرة من لجاجات العامة حتى نفي الى غير موطنه ، وطرد من المسجد حين أمه للصلاة ، ولكنه لم يتخل عن منهجه الفلسفي بل شغل وقته بالشرح والدراسة حتى هيأت له الاسباب من نقل شروحه وآرائه الى اللاتينية لتكون مصباحا هاديا ينير الدراسات الفلسفية ، ويبرز ارسطو في وضع جديد ! ولا يمكننا ان نحدد اثر ابن رشد في انهاض الفكر الفلسفي باوروبا الا حين نعرف حال الفلسفة في القرون الوسطى قبل ابن رشد ، فقد تأكد لدى بعض الافهام ان الفكر الاغريقي قد زحف الى اوروبا الغربية مع الزحف الروماني وان العرب بناء على ذلك لم يضيفوا شيئا ذا بال الى الفلسفة الاغريقية اذ ان ترجمات ابن رشد وشروحه لم تأت بجديد حين نقلت الى اللاتينية ، بل كانت نسخا مكررة للذائع المشتهر ، وهذا خطأ ظالم مفرض ، لان الباحث في تاريخ اوروبا خلال العصر الوسيط يرى ان الكنيسة كانت تدرس الفلسفة الاغريقية من خلال المعتقدات المسيحية فهي تدور بها في مجال العقيدة لتؤيد ما لديها من نصوص حتى ليخيل لقارىء هذه الفلسفة ان ارسطو وافلاطون واحزابهما قد وجدوا بعد المسيح ليؤيدوا تعاليمه ويجروا في فلكه ، وقد حظر البحث عن اي حل من الحلول الفكرية لا يلائم النصوص ولا يسير وراءها شبرا بشبر ، واذا كان الفيلسوف سانت اوجوستان قد فطر الى التناقض الصريح بين مسائل الفلسفة الاغريقية والدين المسيحي فانه لم يعلن ذلك صريحا كما ارتآه بل جعل يوفق بين الآراء في اسلوب متكلف ينادي بالافتعال ! وكان خيرا له ان يعلن أن الفلسفة الاغريقية شيء آخر غير تعاليم المسيح ! بل ان المسيح لن يكون صاحب رسالة كبيرة اذا كان جميع ما أتى به موافقا لما سبق ان حكم به ارسطو وافلاطون واذا كانت الفلسفة الاغريقية تسير على هذا الوضع الكنسي فان شروح ابن رشد واضرابه لها فاجأت اوروبا بالطريف ! ودفعت بالانظار المتطلعة الى افق جديد .

وقد منيت الفلسفة الاسلامية باضطهاد اليم من الراي الغربي العام ، اذ تواطأ اكثر الباحثين على انها نقل وترديد لفلسفة الاغريق ، فهم يرددون ما عبر عنه الفريد جيوم في تراث الاسلام حين قال « ان الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئا اكثر من انها استولت على الفلسفة اليونانية التي كانت شائعة بين المسيحيين من اهل سوريا والمثقفين من اهل حران والوثنيين ثم اضافت اليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند وأن من الحق ان نرد الفلسفة العربية في مادتها وصورتها وغايتها الى حضارة البلاد التي غزاها العرب وان نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذي استقوا منه مذهبهم » وقريب منه قول ارنست رينان « ومن عجائب القدر ان هذا الجنس السامي الذي استطاع ان يطبع ما ابتدعه من الاديان بطابع القوة في اسمى درجاتها لم يثمر ادنى بحث فلسفي خاص وما كانت الفلسفة قط عند الساميين الا اقتباسا صرفا جديا وتقليدا للفلسفة اليونانية !! » الى امثال هذين الرأيين لعشرات الباحثين مما تفيض به صفحات القوم دون انصاف وتحقيق ، والرد عليها واضح صريح لا يعتسف بالباحث في شعاب وعرة منقطعة تكتنفها الاشواك والصخور بل يدعوه الى قراءة ما انتجه فلاسفة الاسلام حين تمسكوا بحرية الفكر التي دعا اليها القرآن ونأوا عن التقليد الفاضح الذي عابه الاسلام فناقشوا في علم الكلام ما يتعلق بالازل والابد وحرية الارادة وافعال العباد وقدرة الله مناقشة تعتمد على الدليل العقلي اعتمادا اساسيا فاذا استندت الى النص فذلك استئناس لا استدلال ، وقد انتقلت مؤلفات ارسطو وافلاطون الى الاوروبيين محاطة بالفكرة الاسلامية وبشروح المفكرين من امثال ابن سينا والفارابي وابن رشد ! وبهذه الشروح اطل العالم الاوروبي على نمط جديد غير مألوف ! واستيقظ من سباته ليرى موقفين متضاربين موقف الكنيسة حين تجعل العقيدة المسيحية مبدأ لكل بحث فلسفي ، وموقف فلاسفة الاسلام حين يحتكمون الى المنطق بحججه واقيسته مجردا عن كل فكر سابق !! هذا الموقف الجريء

قد دفع بالفلسفة الاغريقية دفعة جديدة اذ ابعد عنها الكنيسة واصبحت بشروح العرب ذات اتجاه جديد !! واذا كان من الفلاسفة الاسلاميين من خالفوا الجمهور في بعض الاصول فذلك شيء طبيعي لا بد ان يتمخض عنه اختلاف العقول وتباين النظرات ، وهو مما يشير الى الحرية التامة حين تكتسح القيود والاسداد .

نستطيع بعد هذه الالمامة ان نتابع تاثير ابن رشد في اوروبا الغربية ، فنرى انه برغم قلة تأثيره في المشرق او فقدان تأثيره على وجه التحديد اذ ذاك قد نال اكبر شهرة عند اليهود باعتباره شارحا لكتب ارسطو ، فكانت شروحه تنقل الى اللاتينية على انها نصوص يقينية ، ومن اشهر مقدريه معاصره الشهير موسى ابن ميمون اذ بذل اكبر جهد في انشاء مدرسة رشدية ونقل شروحه الى العبرية واللاتينية ، غير اننا نرى باريس في حياة ابن رشد تتأثر بالمناهج العربية اذ تصبح مركزا للفلسفة المدرسية ثم تمتد بها الايام فتصبح في مطلع القرن الثالث عشر حومة جدل فلسفي ينهج منهج المسلمين ، ويصل صداه الى الدوائر الكنسية فتصدر قراراتها بتحريم الترجمات العمومية والاكتفاء بالترجمات القديمة ! ومعنى ذلك ان تدور الفلسفة الارسطالية في نطاق المسيحية من جديد ! وان تبتعد عن شروح العرب ذات الفكر الاستقلالي والطابع الحر الفريد .

وكان من المصادفات ان يتبوا فردريك الثاني امبراطورية صقلية سنة ١٢١٥ ، ومع اشتراكه في بعض الحملات الصليبية الى الشرق فقد كان عدوا من صفوف الاصدقاء ان جاز هذا التعبير ، وقد اتصف بصفات رائعة قل ان تجتمع في انسان فهو يجيد ست لغات وينظم الشعر ويعجب بفنون التصوير والنحت والموسيقى ويؤلف في علوم الحيوان والطير ويشذ عن تقاليد الكنيسة فيميل الى التسامح الديني ويجمع في بلاطه اليهودي والمسيحي والمسلم ، وقد عشق الشرق فعاش عيشة رجاله يتكلم العربية ويناقش مفكري العرب ، وينأى عن التعصب في جراة وثورة ، وكان شديد الاعجاب بفلاسفة المسلمين الذين يقرأ كتبهم في لغتها العربية ، ويظهر عطفا كبيرا على اساليبهم في البحث والتفكير حتى تشيع لاكثر ما نادوا به من معتقدات ، مما اضطر البابا الى تكفيره واعلان مروقه ، وقد أسس في سنة ١٢٢٤ جامعة نابولي وجعل مهمتها الاساسية ان تدفع العلم العربي الى اوروبا فوضعت الترجمات على يد أساتذتها من العربية الى اللاتينية وانتدب بعض اساتذتها الى زيارة طليطلة سنة ١٢١٧ لنقل شروح ابن رشد على كتب ارسطو وترجمتها ، وقد قام الاساتذة الموفدون برسالتهم واعانهم على تحقيقها نفر من احبار اليهود ممن تتلمذوا على اثار ابن رشد وهتفوا بفلسفته .

وقد عقد الاستاذ ديلاسي أوليري المستشرق الانجليزي فصلا طويلا عن أثر الفلسفة العربية في المدرسة اللاتينية

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : { الادارة ٢٢٣٨١٩ } Dir : 223819
{ المنزل ٢٢٥١٣٩ } Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

بكتابه الشهير « الفكر العربي ومكانه في التاريخ » ترجمة الدكتور تمام حسان تحدث فيه عن اثر الفلسفة الرشدية واطوار تأثيرها حديثا مسلسلا يؤرخ خطوات هذا التأثير على مدى الاحقاب المتتالية حتى ينتهي بها الى وضعها الراهن في الفلسفة الحديثة ، فيذكر أن القرن الثالث عشر قد أكمل ترجمات آثار ابن رشد الفلسفية الى اللاتينية جميعها ، وقد ذاعت على أيدي مؤيديه ومعارضيه جميعا ، فالمؤيدون يبسطون ما قال الفيلسوف العربي ، والمعارضون يحاولون تفنيد آرائه بعد ان يبسطوها بسطا واضحا فتشتهر وتذيع ، بل ان احد هؤلاء المعارضين يضطر الى نقل كتاب « تهافت الفلسفة » للغزالي محاولا ان يفحم به آراء ابن رشد وكأنه يعتصم بالافكار الاسلامية حين أعوزه أن يثبت للرجل الكبير ! وقد التفت الاستاذ ديلاسي أوليري الى نقطة عجيبة حقا حين قال ص ٢٩٣ ترجمة الدكتور تمام حسان « وكان ثمة حد فاصل بين رشد الشارح الذي عومل باحترام كبير كشارح لنصوص أرسطو وبين ابن رشد الفيلسوف الذي كانوا يعتبرونه ملحدا وتبدو المسألة كما لو كان ثمة سياسة متعمدة للوصول الى ارسطو عن طريق التضحية بالشراح العرب » . ومعنى هذا أن شروح ابن رشد على ارسطو مقبولة لانها في وجهة نظرهم تمثل الفيلسوف اليوناني ، أما آراؤه الخاصة فمرفوضة لانها تمثل الفيلسوف العربي ، وهذا الفهم على غضاضته الخلقية ودلالته النفسية مخطىء مضحك ، لان شروح ابن رشد لا تمثل ارسطو وحده ولكنها تمثله في مرآة ابن رشد ، والفرق بعيد بينها وبين الترجمة اذ ان الترجمة نقل خالص اما الشرح فتفسير وتحليل وتعليل ، وكثيرا ما يفهم الشارح أقوال غيره من وجهة نظره فهو ذو شخصية واضحة منفصلة في التصور والادراك والتعليل !! فالذين يحترمون ابن رشد الشارح بحجة أنهم يبحثون عن ارسطو قبل كل شيء قد أخطأهم السبيل ، وهم في حاجة الى من يقول لهم لقد فرض عليكم الشارح نفسه مفكرا وفيلسوفا وهذا ما تحذرون ! أما اذا كانت هناك سياسة متعمدة للوصول الى أرسطو عن طريق التضحية بالشراح العرب فان هذه السياسة لم تتحقق على وجهها المنشود لان هؤلاء الباحثين عن ارسطو لم يتح لهم أن يجدوه عن غير طريق العرب ! حتى انهم حين عثروا بعد ذلك على النصوص الاغريقية الاولى في لغتهم اليونانية لم يستطيعوا فهمها الا بالشروح العربية مقارنة وتحليلا الى ان مضت مدة طويلة نهمت فيها هذه النصوص الاغريقية فهما تنوسي معه ما ساعد على توضيحه من شروح ابن رشد !

والذين يتحدثون عن أثر الاندلس في اليقظة الاوروبية في غير مجال الفلسفة من المجالات الحضارية والفنية لا يواجهون صعوبة كبيرة في توضيح دورها الكبير حيث تبدو الحقائق سافرة غير ملتبسة ، ولكنهم حين يتحدثون عن أثر الاندلس في مجال الفلسفة يجدون من يلبسون عليهم القول متعللين بأن قصارى جهد فلاسفة الاسلام انهم تراجمة ناقلون او شراح مفسرون ! وهم يتعمدون اخفاء ما يعرفونه من الحقائق في فلسفة الاسلام اذ ان اسلوب مفكريه في البحث الفلسفي قد تميز في علم الكلام تميزا يصعب انكاره ، فهو اسلامي الوجهة والروح والمشرب ، وان اصطنع سبيل الفلسفة في البرهنة والاستدلال فذلك مما يمس الشكل الخارجي في ترتيب الجدل ومساقه ، أما حقائقه الجوهرية فاسلامية خالصة جاء بها دين يرتكز على العقل ويدعو الى الحرية والتفكير في ملكوت السموات والارض ، وقد استطاع الاستاذ : ت ج ديبور مؤلف تاريخ الفلسفة في الاسلام أن ينصف المسلمين بعض الانصاف حين تعرض لتحديد ما سماه فضل المسلمين على الفلسفة النصرانية في العصور الوسطى فقال في ص ٢٨٦ نقلا عن ترجمة الدكتور ابي ريده :

« أما اهم اثر للعرب فهو أن النصارى بعد قراءتهم لمؤلفات العرب ولا سيما ابن رشد صاروا يرون في نظريات أرسطو رايا خاصا ، فاعتبروها الحقيقة العليا ، ولم يكن بد من ان يفضي هذا الى تصادم بين علوم العقائد والفلسفة أو الى احراج بينهما بل كاد يؤدي الى انكار العقائد الكنسية واذن فقد كان تأثير الفلسفة الاسلامية على تطور العقائد الكنسية في العصور الوسطى حافزا من ناحية وعاملا على الهدم من ناحية أخرى ، لان علم الكلام والفلسفة لم يستطيعا ان يسيرا في العالم النصراني مستقلين كل على جادته لا يتعرض لصاحبه كما قد حدث عند مفكري الاسلام ثم ان علوم العقائد النصرانية كانت في القرون الاولى من نشوئها قد افرطت في اخذ الفلسفة اليونانية حتى اصبح الانفصال بين الدين والفلسفة غير ممكن بل كانت تستطيع فوق هذا ان تهضم أشياء قليلة أخرى وكان هضم الفلسفة اليونانية أسهل على العقائد الاسلامية البسيطة التي ليس فيها كثير من الاراء الفلسفية منه على العقائد النصرانية المركبة بما فيها من فلسفة .. الخ » .

وهكذا كان انتشار الفلسفة الاغريقية على يد العرب ترجمة وشرحا وتعليقا تمهيدا لقيام النهضة في النصف الاخير من القرن الخامس عشر اذ بدأت الفلسفة تؤتي ثمارها فتوجه العقل الاوروبي توجيها جديدا يستند الى حرية الفكر ، وشعور الانسان بشخصيته واقتداره على التفكير الذاتي مستقلا عن غيره ، وقد ذهب في هذه الحرية الى ابعد مدى حتى تصدى لفلسفة أرسطو نفسها فنقدها وكشف عن ثلومها ! واهتدى الى فلسفة حديثة انتجت مفكرين قادة وفلاسفة مصلحين ، وانتقلت بضوابطها واهدافها الى الادب الخالص فبسطت آفاقه وعمقت مجراه ، وجعلته وليد تأمل دقيق ، وتحليل نافذ كشاف .

محمد رجب البيومي

الفيوم : دار المعلمات



محمود محمد سليمان

حدود العاطفة في مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

ما اكثر ما تمتزج احاسيس الشعراء ، اذ لا فاصل بين العواطف حين تعتمل في ضمير الشاعر ، فاذا صور شاعر مثلا منظرا دميما فواضح انه لا يقصد تصوير الدمامة لذاتها وانما يستعين بها على اثارة احساسات مركبة غير التي ينبهها في النفس منظر الدمامة ، ولا يعقل ان يقف الشاعر عند حد ايلام النفس بتصوير المنظر القبيح ، فوراء هذا التصوير عواطف متمازجة من السخر والهزؤ والاضحاك وبهذا يحقق الشاعر هدفه الفني من الامتاع والتسرية .
يصف ابن الرومي شخصا دميما فيقول :

أقصر وعور   وصلع في واحد
شواهد مقبولة   ناهيك من شواهد
تخبرنا عن رجل   مستعمل المقاعد
أقماه القفد فاضحى   قائما كقاعد

وهذه الصورة تحمل السخر والضحك ، وتثير الوانا من المرح والخفة وكلها بالطبع مقصود في فن الشاعر وليس حتما ان يكون في صور الدمامة تكلف الرشاقة او تصنع الوقار من الشخص الدميم ليظهر الشاعر اغراض السخرية والاضحاك من المهجو فقد تكفي الصورة المرسومة في تحقيق الغرض .

يقول المازني : « ونحن نرى الشعراء والمصورين الذين يدركون غايات فنيهما لا يطلبون الدمامة لذاتها وانما يتخذونها سلما الى تحريك الاحساسات المتزاوجة فيضيفون اليها تكلف الرشاقة او تصنع الوقار او مبالغة فيما يراه لنفسه فيخرج لنا صورة مضحكة » (١) .

وكما يختلط الخوف بالامل يختلط الغضب بالرغبة في الثار والتشفي يقول ابن الرومي لابن المدير :

ادعو على الشعراء اخبث دعوة   اذ مجدوك وغيرك الامجاد
قل لي باية حيلة اعملتها   هتفوا بانك ـ لا حفظت ـ جواد
لكن اخال معاشرا خيبتهم   نصبوا الحبائل للاسى فاجادوا
أثنوا عليك ليستميحك غيرهم   فيخيب خيبتهم وتلك ارادوا

وفي هذا النص يمتزج في نفس الشاعر الاستصغار بالغضب والتشهي لاخذ الثأر .

« كذلك يرتبط الحزن والاسى بذكريات السعادة فالقلب يتعلق مرة بالسار ، واخرى بالمسيء من عناصر العاطفة ، ويتنقل الشاعر من هذه الى تلك تنقلا هو اشجى واكثر متاعا من عاطفة السرور الخالصة (٢) » .

وازدواج العاطفة وتشابكها على هذا النمو يؤكد لدينا مرة ثانية أن الشعر ليس ابوابا منعزلة منفصلة ، بل هو باب واحد من العاطفة ، وليكن وصفا او غزلا او حكمة ، فانه من الصعب ان نميز تجارب الشعراء ـ وهي مواقف من اعماق النفس ـ الى مجموعات تحكم بعناوين صارمة ، لاننا بهذا الصنيع لا نصف تجارب الشعراء الوصف الصحيح .

وعاطفة الشاعر المحب اوسع العواطف ، لانها جماع العواطف النفسية ، وحب الجمال حب للحياة ، ذلك ان الذي تهفو نفسه الى حب الجمال يتعلق بالحياة في مظاهرها وصورها الكثيرة ، بل تنفتح نفس الشاعر للوجود ، ليرى الزهر والنهر والطير والقمر صورا من فتون السحر والجمال تغرى بها نفسه ، ويهيم بها وجدانه ، فعاطفة الحب هي التي ارت الاعرابي القمر على بيت محبوبته اجمل منظرا ، وارق مشهدا منه على بيوت الجيران ومن الطبيعي ان تثور حماسة عنترة في لهيب المعركة الشديدة ، نابعة هذه الحماسة من حبه الكبير لعبلة ، وتقترن الحماسة في نفسه بالحب على هذه الصورة البارعة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها   برقت كبارق ثغرك المتبسم

بل ان عاطفة الحب تعمق وجدان الشاعر حتى يصبح قلبه مركزا يتصل بالكون والطبيعة اتصالا واسعا على نحو ما نرى في قول قيس لبنى :

وان تك ليلى قد اتى دون وصلها   حجاب منيع ما اليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا   ونبصر قرن الشمس حين تزول
وارواحنا في الحي بالليل تلتقي   وتعلم انا بالنهار نقبل
وتجمعنا الارض الفضاء وفوقنا   سماء نرى فيها النجوم تحول

ويرى الاستاذ شكري : انه ليس من شروط الغزل تعليق العاطفة بفرد ، اذ ليست محبة الفرد للفرد الا مظهرا من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التي تحنو على كل جمال يتجلى في الوجود ، ولعل قيس ابن الملوح كان يشبب بليلى

---

(١) حصاد الهيشم للمازني . (٢) المصدر السابق . (٣) مقدمة الديوان الرابع . (٤) الرسالة . (٥) مقدمة الديوان الرابع لشكري. (٦) شوقي ضيف (مع العقاد) .

التي في دنيا الناس لا بليلى العامرية » (٣) .

والعاطفة الصادقة لها دلائل من التعبير ، ومن موقف الشاعر ، واذا صدق احساس الشاعر كأن لصدقه هزة ينتعش بها تعبيره مهما كان ضعيف الحظ من البيان ، ولا يضل الناقد عن الصدق في شعر الوجدان ، لان له حرارة لا يتبدد اثرها ولو اغرب التعبير ، ولكنه يضل احيانا اذا كان الشاعر بارع الصنعة ، فلا يدري : اشاعره وجداني فاقت صنعته لنشوة وجدانه ام متواجد سترت صنعته الفائقة عاطفته التي لبست بالصنعة ثوب الصدق .

وعلى هذا النمط الاخير نجد شاعرا كالبحتري يجيد تمثيل الصدق في الانفعال بخدمة الصناعة حتى لا تشك في صدقه الا اذا اسعفتك القرائن ، وبدرتك الدلائل من ظروف التعبير تمسح عن نفسك آثار الوهم ، وتجلو لك الحقيقة التي ظهر بها فن البحتري في تاريخ الادب : براعة في الصنعة تمثل لك الموهوم من العواطف حقا لا شك فيه ولا افتراء .

قال يرثي المتوكل :

ادافع عنه باليدين ولم يكن ... ليثني الاعادي اعزل الليل حاسره
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي ... درى الفاتك العجلان كيف اساوره

والقصيدة كلها تمثل براعة الصنعة لا عمق العاطفة وآية ذلك ان البحتري ما كان يستطيع لبقية من شجاعة فيه ، ان يدفع عن صديقه المتوكل باليدين ، ولو فعل لخفقته السيوف خفقا وكان من الهالكين ولعلمه بهذه الحقيقة التجأ الى الستر في القصر يحتمي فيها ويطلب النجاة فهل كان حقا يساور الفاتكين بسيفه اذا تمكن منه ؟ لا نظن ذلك ولكن يبقى براعة الصنعة وتمثيل الصدق العاطفي ، الامر الذي يدهشنا لبراعة البيان من شاعر يلبس ثوب الممثل فيختلط في نظرنا فنه بالحقيقة وهنا تبدو مشكلة : لقد اعترفنا بان الصدق العاطفي اساس التعبير المؤثر الجميل ، والصدق يلمس التعبير بحرارته فيغفر لبعض هناته ، بل ان الصدق في اكثر الاحيان يسوّي التعبير ويصقله فكيف يكون في تقدير الفن شاعر يمثل الصدق مجرد تمثيل فينوح ولا اثر للحزن في قلبه ، ويتشجع ونفسه تنتفض من الرعب . ويتصابى ووجدانه فراغ من لهيب الحب ؟ ولا نقصد بهذا ان نسمه بالزيف لاننا لا نقدر على مواجهته بالتزييف لان حوله نسيج البيان لبّس علينا موقفه العاطفي فكان عسيرا ان نفصل بين تعبيره وبين الحقيقة التي مثلها فاجاد التمثيل . يقول متغزلا :

أانت ديار الحي ايتها الربى الانيقة ام دار المها والنعائم
وايامنا فيك اللواتي تصرمت ... مع الوصل، ام اضغاث احلام نائم
لعل الليالي يكتسين بشاشة ... فيجمعن من شمل النوى المتقادم

قلب هائم يطير مع الذكريات الحلوة ، ويراوده الامل البسام في اللقاء الحبيب . وهل تملك في هذا البيان فصلا بين الوجدان الصحيح أو التعبير المتقن الذي اجاد تمثيل الوجدان الصحيح . ومذهب البحتري في التعبير قد يتسع له الفن ويقدره قدره على اساس ان البحتري يمثل لونا من العاطفة الشعرية يسميها عبد الرحمن شكري العاطفة الفنية ، تلك التي تبدو في تعبير الشاعر وزان العاطفة الصادقة ، بسبب ابتداع الشاعر في التعبير واقتداره على الافتنان في تصوير المواقف العاطفية فالموقف العاطفي عند البحتري صورة تمثيلية يجيد الشاعر حبكها ببراعة تعبير لا تشك في انه الصدق الذي هتف به الوجدان. وحين نحاول ان نحسم الامر بين العاطفة الصادقة والعاطفة الفنية ايهما اولى بطريق الفن ؟ نقتنع كما اشرنا من قبل بمزية العاطفة الصادقة في التعبير ، وان الشعراء الذين يعبرون عما يجدون في انفسهم من مشاعر الصق بالفن وامسى به رحما ، لانهم اجدر ان يبلغوا من نفوسنا كل تأثير ، وان يستخرجوا منا كل اذعان ، اما الذين يمثلون العواطف بصدق التعبير فلهم براعة الصنعة التي يقدرها الفن وفي فنهم متسع للتأثير ، ذلك ان تعبير الشاعر مرآة نستشف منها نفسه فاذا اجاد تعبيره الى الحد الذي يلهينا عن تتبع مسارب نفسه ، اهو صادق في وجدانه ام يمثل الصدق ؟ ـ اغنانا فنه الشعري في امتاع النفس، وتعاطف الوجدان . والممثل الذي يمثل العواطف المختلفة فيجيد تمثيلها نعيش في فنه معجبين ، وقد يتسلط فنه على نفوسنا لبراعة محاكاته فنتلهى عن تمثيله ونخدع به كأننا نرى الحقيقة ماثلة لا فنا يصور الحقيقة فلماذا لا يكون الشاعر احيانا كالممثل يتقمص الشخصيات المختلفة بعواطفها وانفعالاتها ويكفينا من فنه انه اجاد التعبير .

يقول شكري : بلغت جودة الصنعة في شعر البحتري مبلغا جعلها تحاكي العاطفة والوجدان واتقان صناعة البحتري محاكاة صدق العاطفة صفة في كبار الممثلين . والممثل الكبير اذا مثل الحزن او الحب لم تفرق بين الحقيقة والمحاكاة ، بل ان المحاكاة تعبير حقيقة حتى ان الفنان نفسه قد يخدع بمظهرها في نفسه كما يخدع المعجبون بفنه ، ومن اجل ذلك تختلط حقيقة العاطفة ومحاكاتها في حياة الفنان كما تختلط الحقيقة ومحاكاتها في فنه (٤) .

ومهما يبلغ الشاعر بصنعته اوج الفن ويجد تمثيل العواطف فانه لا يبلغ مرتبة الشاعر الهاتف عن وجدان صادق، ولا يغفر للشاعر الصناع الذي يجيد تمثيل العواطف بصنعته اننا نقدر فن الممثل على المسرح باجادته تمثيل المواقف المختلفة . الفنون اشقاء ، ذلك لان طبيعة موقف الشاعر كفنان تختلف عن طبيعة عمل الممثل ، فالممثل يلبس أثوابا مختلفة ، ويتقلب بين الشخصيات المتعددة ويغنيه في عمله اجادة التقمص ، وحبك التعبير ، وربما اسعفته البراعة الذهنية اكثر مما يسعفه التواجد وتكلف العواطف المناسبة لكل شخصية والشاعر غير ذلك اذا كان ضروريا لفنه ان يشف تعبيره عن طاقة اصيلة من الوجدان، وان يكون صادقا في حديثه لتوقف المتعة في حديثه على جمال الصدق وصدق العواطف ، وان الصنعة البارعة التي تختلط فيها الحقيقة بالتمثيل اكتسبت شارة من الفن ،

لان الشاعر لم يتخل فيها ــ وهذا ما احسب ــ عن التمسح بالصدق لانه يعيش في شعور مكتسب خيّله لنفسه وان لم يكن اصيلا ولا دافقا ، انه يشعر حين يقول ولكن شعوره لا يبقى بعد حديثه لصيقا بنفسه يصدر عنه القول افانين بعد افانين ، شأن الشاعر الذي تحتفر العواطف العميقة في قلبه اخاديد ، لا يفتأ يردد انغامه المستعذبة من اعماقها كلما اهتز به الوجدان .

ونسأل هنا ما الذي يهز وجدان الشاعر ؟ كل ما في الوجود يهز وجدان الشاعر والشاعر الكبير ينظر الى الحياة ومشاهدها بعين مفتوحة يقظة ، ويختزن منها منابع في نفسه للشعر والالهام « ومناظر الحياة على اختلافها ريح تهيج امواج نفس الشاعر فيعلوها درها واصدافها » (٥) .

والشاعر يبرز عواطفه رفافة على مشاهد الحياة كبيرها وصغيرها فتستوي فنا رائعا ، يصل الى النفس في شوق ورغبة مثلما فعل العقاد في قصيدته « كواء الثياب ليلة الاحد » :

اسلموك الحلل	كالربيع الجديد
في احمرار الخجل	او صفاء النهود
تشتهي بالقبل	لا بمس الحديد
يا لها من فنون	بهجة للعيون

طويت كالعجين	فاطوفيها الجمال
لمسة باليمين	عطفة بالشمال
والعجين الثمين	في استواء المثال
فيه ماست غصون	من جناها الجنون

زد نصيب الحبيب	من هوى وابتسام
بالكساء القشيب	رف حول القوام
لك فيهم نصيب	غير كي القرام
عند برج الشجون	هم هم المكتوون

« لقد تحول الكواء وناره والثياب التي يكويها الى موضوع نفسي كبير ، فيه الناس ومشاعرهم ، وآمالهم ، وما يلبسون يوم الاحد ، وما يطوف بخيال شبابهم من الحب ، وبذلك صعد العقاد الى معارج الشعر والفن ، وكأنما كانت بيننا وبين هذا المشهد الحسي الذي نبصره في غدونا ورواحنا فواصل ، وما كادت باصرة العقاد تلمسه حتى تبين ان هذه الفواصل اقواس وهمية وانه يحمل من رؤى الشعر ما يخلب الالباب » (٦) .

ولا تنعكس مشاهد الحياة على قلب الشاعر انعكاسا مباشرا فيردها في تعبيره الشعري بالصورة التي انطبعت في قلبه ، ولكن وجدانه اعمق من الانطباع المباشر الذي يدفع الى التعبير المماثل ذلك ان وجدانه القوي يسنده ذهن خصب قوي وخيال مجنح طائر وكل اولئك يتمم براعة فنه ، فقد يرى الشاعر المنظر الدميم فيطير الى آفاق شائقة من الجمال نحسها في تعبيره . سئل جيد وربنى المصور الايطالي من اين لك هذا الخلق الرائع الذي تظهره في صورك فقال لسائله : انظر ! ثم اتى بشيخ قبيح واجلسه امامه نموذجا ورسم صورة رائعة لفتاة كأنما جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور . ثم قال : اترى في هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال ؟! نحن اصحاب الفنون نحمل في نفوسنا دنيا اجمل من دنيا الناس ؟.

الفيوم **محمود محمد سليمان**

المنزل المهجور

هجرتك اذري الدموع الحرارا
فما كان بعدي عنك اختيارا
ولكن خضوعا لحكم الزمان
وواقع عيش بغيض يجارى

لقد تم ما شاءه لائمي
وحدث عنه الصحاب جهارا
فعدوك رقما اباه الحساب
وعدوا نزوحي عنك انتصارا
وقالوا ترنم لهذا الخلاص
ورب خلاص يكون انتحارا !

كأني اراك كئيبا لهجر
عقوق اخال الربيع اصفرارا
فيا لك حلما سخي الوعود
وفردوس حب جميل توارى
ويالي مضنى اضاع الاماني
وحير حدس الظنون ... وحارا
تساءل بعد غياب مرير
يخبيء تحت الرماد الجمارا
اضاقت عليه الجواء الفساح
ام ان السواعد باتت قصارا ؟!

نعيم العيون ويا جنة
ستذبل فوق التلال انتظارا
اتيت اودع هذا المطل
وشطا يحيل الشموس نضارا
وقرميد زهو يغيم انطفاء
لهذا الفراق ويخبو احمرارا
يحوم هدبي فوق الزهور
وعند القناطر يغفي انكسارا
واسكب شوق الضلوع الحواني
مذيبا لهيب الجفون اعتذارا
لعل بقايا الدموع الحرارا
تلاقي لديك لذنبي اغتفارا

فؤاد الخشن

عند بابك

الى زوجي الحبيبة ذكرى لقائنا الاول

عبد المنعم عواد يوسف

القليوبية ـ شبين القناطر



وتركت قلبي عند بابك ، لا رفيق ولا انيس
ودخلت متقد الشعور اصارع الشوق الحبيس
وأنا اتمتم : لا غـرام
فالقلب عند الباب ، نام

وجلست قربي ، في سكون
ونظرت نحوي ، والعيون
فيها رجاء
فيها نـداء
فغضضت طرفي في حياء
وحبست شوقي من جديد

واهتز كوب الشاي في كفي ، على ثوبي ، وسال
فخجلت من نفسي ، ولاح من العيون صدى ابتهال
ونظرت نحوي ، في فتون
وهتفت من خلف الجفون
لا ، لا تبـال
لا ، لا تبـال
ومسحت ثوبي والعيون
عيني وعينك في سكون
تتعانقان
تتفاهمان
فغضضت طرفي في هوان
وحبست شوقي ، من جديد

وجرى الكلام ، ولا احب من الكلام
وتململ الشوق المكبل ، في احتدام
وقرات لي شعرا قديم
وسرحت والشعر القديم
ورجعت من كوني السعيد
فحبست شوقي من جديد

وسمعت صلصلة القيـود
عبـر امتدادات الحـدود
متناثرات
متحطمات
وبدت هناك بباطني تنمو ورود
وسمعت في الاعماق الحان السعود
وشممت انسام الهوى العذب الجديد
والشوق يرتع ، لا قيـود
والوجد يسأل : هل يعود
وشعرت بالحـب الوليـد
وبانني احيا هنا في قلب روض من جمالك
وعرفت انني ، يا حبيبة ، لم ادع قلبي ببابك

الدكتور حسين فخري الخالدي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد الدكتور حسين فخري الخالدي في بيت المقدس (١٨٩٤) من اسرة كريمة المحتد، وانشاه والده المرحوم الشيخ راغب الخالدي نشأة طيبة، ورعاه احسن رعاية مع اخوته الدكتور حسن واحمد سامح وغالب ويعقوب واسماعيل، وتلقى دروسه الاولية والثانوية في مدرسة المطران بالقدس، ودرس الطب في الجامعة الاميركية ببيروت وتخرج منها طبيبا قبل نهاية الحرب العالمية الاولى، وعمل طبيبا في الجيش التركي واسهم مع احرار العرب في ثورتهم التحررية ضد الاتراك.

وبعد ان طويت راية بني عثمان من البلاد العربية قام في سورية الحكم العربي الفيصلي فالتحق الدكتور الخالدي بمصلحة الصحة العامة وعين طبيبا في حلب، وما ان دك الفرنسيون عرش فيصل بن الحسين واطاحوا به في عام ١٩٢٠ وتشتت العاملون في الحقل الوطني شرقا وغربا حتى عاد الدكتور حسين الى مسقط راسه وتولى اكبر منصب عهد به الى عربي ابان الانتداب البريطاني على فلسطين، اذ عين نائبا لمدير الصحة العام، وظل يشتغل هذه الوظيفة الى ان خاض معركة انتخابات بلدية القدس في عام ١٩٣٤ وفاز مع مرشحي قائمته على منافسه المرحوم راغب النشاشيبي، وعين رئيسا لبلدية القدس.

وفي عام ١٩٣٥ الف حزبا سياسيا في فلسطين اسماه «حزب الاصلاح» وبعد فترة قصيرة من هذا العام شبت ثورة عاتية في فلسطين التهمت الاخضر واليابس وهنا رأى رجال الثورة و«مؤتمر الشباب الى ائتلاف الاحزاب» ان لا بد من التنظيم فحملوا زعماء الاحزاب السياسية على التكتل في جبهة اسموها «اللجنة العربية العليا» وقد تألفت صباح ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ على النحو التالي:

الحاج امين الحسيني، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى، رئيسا، وعضوية كل من: راغب النشاشيبي، رئيس حزب الدفاع، الدكتور حسين فخري الخالدي، رئيس حزب الاصلاح، عبد اللطيف صلاح، رئيس حزب الكتلة الوطنية، جمال الحسيني، رئيس الحزب العربي الفلسطيني، يعقوب الفصين، رئيس حزب الشباب، الفرد روك، عوني عبد الهادي، رئيس حزب الاستقلال، احمد حلمي عبد الباقي، ويعقوب فراج.

وفي عام ١٩٣٧ اعتقل الانكليز الدكتور الخالدي مع عدد من اخوانه العاملين معه في الحقل الوطني ونفوهم الى جزر سيشل جزاء الثورة الفلسطينية التي تلظت نارها، والتهب اوارها في البلاد ساحلا وداخلا.

وعندما دعت بريطانيا رهطا من زعماء العالم العربي ورؤساء حكومته الى لندن لحضور «مؤتمر المائدة المستديرة» المنعقد في قصر سان جيمس، اطلقت سراحه مع رفاقه، واشترك في الوفد العربي الفلسطيني في ذلك المؤتمر الذي صدر «الكتاب الابيض» بعد فشله في عام ١٩٣٩، وعاد الدكتور الخالدي الى القدس يشكو ورفاقه عللا تأكل اجسادهم لسوء المناخ في سيشل، واسهم، رغم الداء الذي اصابه، في الحركة الوطنية واستأنف عمله في «حزب الاصلاح» وقضى سنوات الحرب العالمية الثانية في فلسطين لا ينفك عن النضال الوطني بقلمه ولسانه وتوجيهه.

ولما انتهت الحرب وعاد النشاط السياسي الى اوجه عادت «الهيئة العربية العليا» الى سابق جهادها وتولى فيها امانة السر ودعا الى تأسيس «بيت المال العربي» التابع للهيئة العربية العليا لمواجهة الاحداث الجسام التي رأوا ميزانها مائلا لمصلحة «اليهودي المدلل» وقد انشأه الانكليز وحلفاؤهم واقاموه على ساقين من حديد!

وعندما عمد الصهيونيون الى لغة الغدر والاجرام وسفك الدماء وتقتيل الابرياء، واقدموا على مذبحة دير ياسين الشهيرة، التي ستظل سبة وعارا في تاريخ بني صهيون، لتمثيلهم بالاطفال والنسوة والشيوخ، ابان غياب الرجال عن القرية في نضالهم القومي، عقد الدكتور الخالدي مؤتمرا صحفيا فضح فيه جريمة اليهود النكراء، ونشر على العالم تفاصيل المجزرة الرهيبة، وصحب منظمة الصليب الاحمر الى آبار قرية دير ياسين لانتشال جثث الاطفال والنسوة من العرب وقد مثل فيها اليهود الغادرون اشنع تمثيل!

وفي احلك ايام النكبة وقف الدكتور الخالدي مع شعبه المشرد، حاملا اعباء المسؤولية في خطوط النار، وبعد وقوع النكبة الفلسطينية يمم «غزة هاشم» واشترك في المؤتمر الفلسطيني المنعقد هناك وشغل منصبا وزاريا في حكومة عموم فلسطين التي كان يراسها المغفور له احمد حلمي عبد الباقي.

وفي عام ١٩٥٠ عاد الخالدي المجاهد الى القدس وعين حارسا للاماكن المقدسة بارادة من الملك عبدالله بن الحسين وفي عام ١٩٥٣ عين وزيرا للخارجية الاردنية في وزارة الدكتور فوزي الملقي وعين في مجلس الاعيان، وعندما الف السيد سمير الرفاعي الوزارة في عام ١٩٥٥ عين الدكتور حسين وزيرا للخارجية الى ان الف نفسه الوزارة التي خلفت وزارة السيد سليمان النابلسي في

١٥ نيسان ١٩٥٧ ولكن وزارته لم تعمر الا اسبوعا فعاد الى منزله المتواضع في أريحا ، وظل على اتصال دائم بالحياة العامة ، وحز في نفسه ان تهاجم الدعاية الصهيونية العرب عرقا وموطنا ودينا في الكتاب الشهير « الخروج » EXODUS لمؤلفه الكاتب الاميركي الصهيوني LEON URIS واخرجته الصهيونية العالمية فيلما غزا كل صقع وناد ، فعكف الدكتور الخالدي عاما ونيف يؤلف كتابا بالانكليزية يرد فيه على تخرصات الصهيونية ردا مدعما بالارقام والوثائق ، وليلة فراغه منه أمضيت واياه في منزله ساعات طوالا في الحديث عن كتابه المخطوط واقترحت عليه مكاشفة المسؤولين في الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة في امر طبع كتابه ونشره ففوض الي الامر شريطة أن يتم طبعه ونشره في المانيا .

وعندما بلغت القاهرة نقلت للمسؤولين في الامانة العامة رغبة الدكتور الخالدي فوعدوني خيرا لكن الكتاب الذي قضى الدكتور حسين في تصنيفه عاما ونيف ما زال مخطوطا ... يغط في نومه !!

عرف الفقيد الكبير بزهده في المناصب ، وطهارة السيرة والسريرة ، والترفع عن الصغائر والابتعاد عن الشهرة والاضواء ، والعناد في سبيل الحق ، واشتهر بمقالاته التوجيهية التي كان ينشرها منذ كشفت الصهيونية العالمية عن أوراقها ، وكان يحترم الصحافة وحرية الراي وله جولات في السياسة المحلية هاجم فيها الاستعمار الغشوم ، والانتداب الظلوم ، وقارع الصهيونية وكشف عن أباطيلها وسوأتها !

وفي السنوات الاخيرة التي أمضاها بين أريحا ـ القدس ـ عمان كان ينشر مقالات رائعة في صحيفة « الجهاد » المقدسية بتوقيع « الشيخ » ومن ابرز تلك المقالات ما كتبه في « الجهاد » بعنوان « صداقة بالنبوت » وهاجم فيه تمبلر وحلف بغداد !

نموذج من نثره السياسي : في خريف عام ١٩٥٥ كتب الدكتور الخالدي السياسي العميق النظرة ، البعيد المرمى ، مقالا بعنوان « مناطق النفوذ » تحدث فيه حديث البصير الخبير بخبايا السياسة وأفانينها ، عن « غوا » في الهند و « ايريان » في اندونيسيا في وقت لم يكن الناس يعلمون اين تقع « غوا » و « ايريان » في الغالب من « اطلس » الارض او « خارطة » الدنيا ! قال « الشيخ » رحمه الله واسكنه فسيح جنانه :

« لا تزال عقلية الغرب في معاملته للاقطار العربية الاسلامية كما كانت عليه في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن الحاضر ، وهي عقلية مستمدة من معاهدة او اتفاقية « سايكس بيكو » وامثالها ، في زمن كانت اكثر الشعوب الشرقية الاسيوية تغط في سباتها العميق ، وتئن وتتوجع من سياط المستعمرين تنهال على ظهورها !

ويشاء ربك ان يتغير الزمن وتدور عجلة التاريخ ، ويزول عهد الاستعمار ، فتتحرر الشعوب تدريجيا ، ويعز هذا الامر على الدول الاستعمارية الكبرى كبريطانيا وفرنسا، كما يعز ايضا على بعض الدول الاستعمارية الصغيرة كهولندة والبرتغال ، فبعد ان خرجت الاولى من اندونيسيا لا زالت تتمسك بـ « غينيا الجديدة » وكأنها قطعة من هولندا ، وظلت الثانية تعسكر وتتمسك بمستعمرة «غوا» في الهند ، وكأن حياة البرتغال او مماتها مرهون ببقائها هناك !

اما بريطانيا وفرنسا فبعد ان خرجتا من الهند وبورما وسيلان ومصر والعراق والهند الصينية وسورية ولبنان لاسباب عدة ، وفي مناسبات مختلفة ، فقد ظلتا مع ذلك تتمسكان بمعاهدات واتفاقيات قديمة بالية فرضت فرضا على حكام بعض المناطق والمقاطعات الاخرى ، واصبحت بنودها واحكامها ابدية سرمدية لا يمكن ان تلغى او تعدل او تبدل !

ورات هذه الدول الاوروبية الاستعمارية الكبرى ، بعد ان رحلت عن البلدان التي اشرنا اليها ان تستعيض عما فقدته من حكم مباشر او غير مباشر ، لمثل هذه البلدان وان تقسمها مرة اخرى الى مناطق نفوذ تحت ستار المحافظة على الامن والنظام في العالم . ومن المؤسف ان تجاري الولايات المتحدة تلك الدول الانعزالية الى بضع سنين خلت ، هذه الدول الاوروبية فتتسابق واياها في اقتسام مناطق النفوذ بما ترسله من بعثات وما تنفقه من دولارات .

وغريب ان يذكر اهتمام دول الغرب خاصة في البقعة التي تسكنها الشعوب العربية الاسلامية وان تدعي هذه الدول ان بلادنا العربية تشكل الخطوط الدفاعية الامامية عن امنها وسلامتها . وكأن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا لنكون ترسا لحماية الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وحائطا نتلقى ضربات أعدائها عندما تحين الساعة !

من اجل هذا يريدوننا ان نرتبط بعجلتهم ، ويريدون منا ان نعقد معهم المعاهدات والاحلاف ، ويريدون منا ان نكون حلقات في سلسلة دفاعهم ، ويريدون هذا كله بلا ثمن او مقابل ، بل ويريدون منا اكثر من هذا وذاك ان ننسى الاساءة وان نطوي صفحة الماضي ونهادن عدونا اللدود الوحيد ، وان نقطعه بلادنا ووطننا ونقبل بالتشرد !

ونظرة واحدة الى خارطة البلاد العربية وما يضمرونه لها من تقسيم الى مناطق نفوذ متعددة كفيلة بالكشف عن نواياهم !

فالريف العربي المسلم منطقة نفوذ اسبانية ، وطنجة وما جاورها منطقة نفوذ دولية ، وتونس ومراكش منطقتا نفوذ فرنسي ، فرضت عليهما الحماية الفرنسية فرضا ! والجزائر العربية المسلمة قطعة من فرنسا ولكنها تحكم بالحديد والنار ! وليبيا المتحدة التي تشمل طرابلس وبرقة

الى الفقيد السياب

الوميض الذي انكرته عتمة معابرنا

*

جيكور .. من للهوى يروي حكاياه — من يصلب الآه فجرا في حناياه ؟
من يشكو للربوات الغافيات .. هوى — من يغزل النعمة العذراء كفاه ؟
من للغروب .. اذا رش الدروب وما — من يسكر الكون من اصداء شكواه ؟
من يطفىء الجرح في عينيه .. منتحبا — وترفض المعزف المرنان يمناه ؟

جيكور .. يا ضحكة السياب .. للمها — من ليل عينيه ... من تهمام دنياه
يا قهقهات جراح في جوانحه — تفتات احرفه .. تدمي بقاياه
ويا فحيح الرمال اللاهثات لظى — يا جهشة الجدول المضنى بمجراه
هل يذكر الليل .. والغيمات .. معزفه — وزغردات جرار الطيب ، نجواه
والزورق الحالم الغافي .. ايذكره — هل دغدغت غفوة المجداف ذكراه
المرفأ المطفأ الاعراس .. احزنه — صمت الخليج .. ونوح الشط ابكاه

يا شاعر الآه .. لم تضحك لنا ضفة — ولا شدى معزف « جيكور » لولاه
يا غنوة الجرف .. يا سلوى قوافلنا — يا غازل الصحو من ايحاش منفاه
ويا حداء .. يحث الركب .. يقحمه — درب الربيع .. وحضن الصبح مرساه
ويا مسيح الحروف الخضر .. نصلبه — ورعشة الخافق المحزون مثواه
«هابيل» !! يا جرحنا الدمي حناجرنا — أنا مهامه .. فاغفر ما جنيناه

بغداد — علي جعفر العلاق

وفزان منطقة نفوذ بريطانية – اميركية – فرنسية ! ومصر والسودان ودار فور وكوردوفان مناطق نفوذ بريطانية ، وشبه جزيرة العرب منطقة نفوذ امريكية بما فيها من نفط، اما المشيخات والامارات الممتدة على سواحلها فهي جميعها تحت النفوذ البريطاني و « تتمتع » بالحماية البريطانية المباشرة ! والاردن والعراق مناطق نفوذ بريطانية تغلغل اليها النفوذ الامريكي ايضا ، وسورية ولبنان كانتا من مناطق النفوذ الفرنسي ، وتتأرجح اليوم بين هذا والنفوذين البريطاني والامريكي ، والمفروض ان ثماني من هذه المقاطعات العربية تشكل في مجموعها الوحدة الاقليمية المعروفة باسم « الجامعة العربية » وان ستا منها اعضاء في هيئة الامم ، لها من سيادتها ما لغيرها من الدول الكبيرة والصغيرة الاخرى ، فهل يتناسب استقلالها وسيادتها مع تقسيمها الى مثل مناطق النفوذ هذه ؟

وهل ترضى الشعوب العربية ، بعد ان تحررت واستقلت، ان تعود الى حماية او وصاية او انتداب من نوع جديد وان يكون مستقبلها ومصيرها رهنا بما يبيت لها في باريس او لندن او واشنطن او جنيف ؟! »

كان الدكتور حسين فخري الخالدي سياسيا بارعا بعيد النظر ، عميق الفكر ، خصب القلم ، وكان ينظر الى القضايا العالمية الهامة بمنظار السياسي الحكيم ، والخبير العليم !

وكان من كبار المجاهدين الفلسطينيين وقد اسدى لقضية بلاده احسن الخدمات ودافع عنها خير دفاع وبذل في سبيلها وسبيل العروبة اصدق التضحيات ، ووقف ايامه ولياليه على الجهاد من اجل امته وبلاده !

وليلة الرابع من رمضان المبارك ١٣٨١ الموافق الثامن من شباط (فبراير) ١٩٦٢ توفي الفقيد في مستشفى السلط اثر وعكة اصابته ودفن في المدينة التي راى فيها النور واحبها وذاد عن حياضها منذ عرف طريق الجهاد وحمل رايته !

عمان – الاردن — البدوي الملثم

قلب الام

بقلم عبد القادر سعود

لشهر رمضان في حلب ميزة ينفرد فيها عن بقية اشهر السنة ، وخاصة بالنسبة للاولاد حيث يتساهل معهم ذووهم ويسمحون لهم بالخروج من البيت مساء والتأخر بعض الوقت فهو موسم دوري يجتمع فيه ابناء الحي في « سوق رمضان » يسمرون ويلهون ويسهرون ما طاب لهم السهر ، اما القلة منهم فينتظرون خروج « المسحر » بطبلته ليطوفوا معه على بيوت الحي يستمعون الى الحانه واراجيزه التي يوقظ بها النيام لتناول طعام السحور ...

... ولم يكن « عصام » غريبا عن حيه فقد تعود الخروج الى « سوق رمضان » بعد الافطار مهتبلا فرصة مغادرة والده البيت الى مكتبه يستأنف عمله اليومي ، وفي السوق يلتقي بزمرة من رفاق الحي يتجمهرون حول بعضهم ، او يتحلقون حول بدوي وافد من البادية يمازحونه او يلقون — على غفلة منه — باحدى المفرقعات بين رجليه فيضطرب ، ويفزع وينفجر الاولاد ضاحكين مسرورين ...

وطبيعي ان يذر الخلاف قرنه بين الرفاق ، وتنشب الخصومات بينهم لاتفه الاسباب او دونما سبب ، ويشاء الله أن يختلف « عصام » مع « صالح » جاره في الحي وزميله في المدرسة وتكون احدى المفرقعات محور الخلاف ومداره ، وينقلب اللهو عبوسا وتجهما يرين على الوجوه ، ونظرات حمقاء ، تطفى على العيون ، ويعلن « صالح » مخاطبا رفيقه بتحد : « انتظرني حتى اعود من البيت » .

... ويذهب « صالح » الى بيته ، في حين يبقى « عصام » مع شلة من اترابه يتابعون سمرهم ومرحهم بقلوب وادعة خالية ، واذا بصالح يعود بارا بوعيده ، وينادي :

— تعال ... يا ...

ويقترب عصام بقلب سليم ، ونفس مطمئنة هادئة ، وبلمح البصر يستل صالح سكينا كأن قد اخفاها في كمه ، ويضرب بها بطن رفيقه فيلقيه ارضا في بركة من دماء ، فاقد الوعي يحشرج ويتلوى ... وفي بضع دقائق كانت عربة الاسعاف تنقله الى مستشفى « الهلال » الحكومي ، وفيه لم يجد الوالد المفجوع العناية المرجوة فضلا عن عدم وجود الطبيب الاخصائي الخبير ، فاضطر الى نقله الى مستشفى « النجم » الخاص حيث ادخل غرفة العمليات فورا باشراف نخبة من امهر اطباء البلد .

اما في الحي فقد انتشر الخبر بسرعة ، وعم اغلب البيوت حتى تناهى الى عم الجريح الذي يقيم على مقربة منهم ، فيخف مسرعاً ليستطلع الخبر ، ويلتقي بأم عصام ، ويجري بينهما حوار ...

— ابن اخي « عادل » ؟!..

— انه في المكتب ، ولم يعد حتى الآن ، ولعل اموراً هامة شغلته فتأخر ...

وودعت العم حتى الباب الخارجي وبينما كان يهم بمغادرة الدار رجته قائلة :

— ان عصاما لم يعد من « سوق رمضان » ، لقد تأخر على غير عادته ، واخشى عليه قسوة ابيه وشدته ، ارجوك ان تعمل على اعادته الى البيت فورا فقد مضى شطر من الليل غير يسير .

ويجيب العم :

— آمل ان القاه ، وساعيده بيدي ، اطمأني واهداي .

... ولم يكد العم يغادر البيت حتى يلتقي بامراة من قريبات ام الجريح جاءت تستوضح الامر وتستجلي حقيقة النبأ ، فيطلب اليها بالحاح شديد بضرورة كتمان الخبر عن الوالدة وعدم مفاتحتها به تلميحا او تصريحا خشية حدوث ما لا يحمد عقباه لما يعرفه من شدة تعلقها ببكرها ووحيدها وحبها له ...

*

... وعلى طرقات مضطربة ، وفي تلك الساعة المتاخرة من الليل تفتح الام الباب لتجد قريبتها ، وبعد تحية قصيرة مبهمة سألتها :

— اين عادل ؟!..

— لم يعد بعد ، ولعل تصفية حسابات الشهر الماضي وضرورة انهائها اجبرته على التأخر حتى الساعة ...

وينتقل الحديث ، ويتشعب ، وبين فترة واخرى تكرر الزائرة سؤالها عن عادل ، وعن عصام ..

ومن هذه الزيارة ، ومن خلال الاسئلة المتواترة ساور القلق قلب الام وداخلها الشك ، وتزاحمت الافكار السود في راسها ، وصاحت :

— قولي ... بالله اين زوجي ؟ ، هل اصابه سوء ، او ضحي ، لم هذه الاسئلة .

— لا شيء — تجيب الزائرة — ، فقد جئت استشيره في امر يتعلق ببيع عدد من اسهم شركة النسيج ..

والمراة بطبيعتها لا تستطيع المحافظة على سر لفترة طويلة ، فهي وان حاولت كتمانه فلا بد وان تظهر آثار منه على لسانها عفوا ، او تتحرك شفتاها بشيء منه دونما قصد او تنم عنه قسمات وجهها ونظراتها .. ومع ذلك فقد صبرت الزائرة على السر بعض الوقت ، والى حين ... فاذا بها تترك الغرفة وتتجه الى غرفة شقيق آخر للزوج يقيم معه بنفس الدار ، وتطرق الباب بلطف ، ثم تشتد ، وتوقظه ، وتنادي زوجته

قصة

بصوت خافت جاف ..

ـ افيقوا .. ما لكم تغطون في سبات عميق ؟!.. افيقوا قتل«عصام» ... لقد قتل ...

اما الام فقد تطرق اليها الشك منذ تركتها قريبتها ، وزادها فزعا ذلك الحوار الهامس المرعب ، فراحت تصغي بكل جوارحها ... فاذا بها تسمع طرفا من الحديث الدائر ، وتصل الى سمعها عبارة « قتل عصام .. لقد قتل .. » فتصيح ، وكأن مسا من جنون قد اصابها او تيارا من كهرباء قد صعقها .. قتل ... قتل .. قتل ..

وفيما كانت تردد هذه الكلمات ، كانت يداها تنهال على خديها تخديشا ولطما .. لا تعي ما تفعل ، ولا تعرف ما تقول ، وفيما كان الموجودون في صحن الدار غارقون في وجوم مرعب ، صعدت الام الى غرفتها ، وغابت لحظات ثم عادت لتقول :

ـ اشهدوا .. انني شربت زجاجة محلول الـ د.د.ت ، وانني قررت ان اموت ... انه لخير لي الف مرة ان اموت من ان اسير في جنازة عصام .. انه لخير لي ان انتهي قبله من ان ارى نعشه محمولا امامي ... انا لا اطيق الحياة بعدك يا وحيدي.. هيا خذوني اليه ، لعل وجهه آخر ما اراه في هذه الدنيا ، ولعل قبلة اطبعها على ثغره تكون آخر ما اودع به هذه الحياة .

*

... ويخرج العم ليستأجر سيارة ينتقل فيها الجميع الى مستشفى اعتاد الاب التردد عليه ولكنهم لم يجدوه هناك ، فتابعوا سيرهم على الاقدام الى مستشفى «الهلال» فقيل لهم بان الجريح موجود في مستشفى « النجم » ، كل هذا دون ان يخطر في بال احد من المرافقين ان يدخل الام المنتحرة احد المستشفيات التي مروا بها لاسعافها ..

... ويمر الوقت شديدا ، قاسيا ، والسم ينفذ الى دم الام ، ويسري في جسمها وزاده السير على الاقدام تسللا الى بدنها ، وتفاعلا مع دمها .. وفي الطريق الى مستشفى « النجم » اوقفوا سيارة اجرة ، وبعد لحظات من ركوبها بدات اعراض السم تظهر على وجه الام ، ويتغير لونها ، ويصفر وجهها ، وتجحظ عيناها ويلتوي راسها ... وتخور قواها .

.. وتصل السيارة الى المستشفى المقصود ، وفيما كان الاب واقفا في غرفة العمليات يشهد العملية التي يجريها الاطباء لابنه ، يصله نبأ زوجته فيسرع اليها ويحملها حيث يضعها امام الطبيب الذي ترك غرفة العمليات وخرج يفحص المصابة .

ـ لا امل في انقاذها يا استاذ ، البقية في حياتك ، قال الطبيب ذلك ونظر الى الزوج المفجوع نظرة عزاء واشفاق ... ثم دلف الى غرفة العمليات يتابع عمله مع زملائه لانقاذ الولد .

وهكذا فارقت الحياة ، لم تر وحيدها ، ولم تطبع على ثغره قبلة الوداع وكان لها ما ارادت .. ماتت ولكن ولدها ما زال على قيد الحياة ، ونجحت العملية وغادر المستشفى بعد اسبوعين .

ترى هل يستطيع الولد ان يفي امه بعض حقها عليه لو اقام على قبرها دهره .. وافنى في ذكرها عمره ، وسكب على رمسها دمه ودمعه ..؟

يقينا لا يستطيع ... ولن يستطيع .

حلب — عبد القادر سعود

الحرية

انا ما زلت مغلفة بغشاء من الدموع
أنظر من خلالها الى الدنيا
انني كالجنين .. الذي يسبح في احشاء امه
انني ارى احيانا هذا الجدار
يتكاثف حتى يكاد يخنقني
هذه الجدران التي تؤلف المدن
تحجب عني حقيقة الاشياء
اين النبع الصافي الذي يسقي البراري ؟
اين العصفور البري الذي يلتقط من يدي حبوب القمح ؟
اين ذلك الغزال الصغير ..
الذي ينطلق مع الريح بين الحشائش نحو الحرية ؟
انا منهم .. انا من النبع .. من الحشائش
انا لم اخلق لكي اعيش بين الجدران
ان النوم على اديم الحقول لاهنا عندي من النوم على فراش وثير
وان سماع طنين النحل وزقزقة العصافير
لاطرب عندي من سماع اجمل اغنية
ايتها الطبيعة !
خذيني بين احضانك ..
فانا هاربة من المدينة
التمس من اوديتك عمق الحياة وصدقها
ومن سهولك براءة الجمال وروعته
ومن جبالك معنى الوقار .

حلب — تيماء الناصر

اللغة العربيـة في جمالاتهـا

بقلم جبران جبور

***

اللغة العربية او سحر البيان ومجازات القلب والافتنان لغة الذوق والجمال ومطارح الامال، لغة الثنائيات والمثلثات والمترادفات والمتعاكسات لا تنبش جواهرها المكنوزة بحديث او مقال ، ولكن وهي ديني ، وديدني لا بد لي ان افتح عيون قارئيها واشنف آذان سامعيها ببعض الكلمات التي يستأنف معها متعشقوها عشقهم وهم اليها ينظرون :

قال الجلجول وهو شاعر مقل ذكره ابو العلاء المعري في رسالة الغفران من كفرطاب :

ستي ان أعياك حملي فاحمليني زقفونـه

وقال البهاء زهير وهو يدفع بقولـه اللحن عن لفظة الست :

بروحي من اسميها بستي فيأخذني النحاة بعين مقت
يرون بانني قد قلت لحنا وكيف وانني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت فؤادي فلا عجب اذا ما قلت ستي

ولا بدع فلفظ الست العامية الفصحى ست الجلجول والبهاء زهير هي ستي وستك ايها القارىء وهي في مقدمة الفاظ اللغة العربية المنطوية على جمالاتها . فتأمل انهم دعوا الست بهذا الاسم لانها تملك الانسان من جهاته الست وهي فوق ـ وتحت ـ وشمال ـ ويمين ـ وخلف ـ وقدام .

ولندع الست تملك في قلوبنا الجهات الست ولنستقل الى قبلة طيبة شهية لم يتصورها شاعر من قبل لا في الجاهلية ولا في الاسلام . وهي قبلة شق التينة ـ اي ثمرة التين ـ المشقوقة ـ قالت احداهن : « كان يقبلني شق التينة » فقيل لها وما شق التينة ؟ قالت ان يأخذ شفتي العليا بيد والشفة السفلى بيد ويقبلني ما بين الشفتين ... فما أجمل اللغة ، وما ابدع الخيال ، اللغة التي تقدم لك مثل هذه الست وهذه القبلة .

وتستهويني لفظة « سليم » وهو الذي لدغته الافعى وخاف عليه اهله ان يسلم فسموه سليما بعكس معناه تيمنا بشفائه وسلامته .

ومن ادعيتهم للمرء الذي يتمنون له السلامة الدائمة قولهم « بك داء الظبي » وهو كلام في ظاهره دعاء على الانسان بالداء وفي باطنه دعاء له بالشفاء . لان الظبي لا يصيبه الداء في حياته البتة حسب قولهم فيبقى مدى عمره معافى حتى يأتيه اليقين الذي لا مفر منه ...

ويحضرني قول الحطيئة في الهجاء اذ قال :

تنحي واجلسي مني بعيدا اراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا

... والغربال لغة ما ينخل به والرجل النمام ، وكأن الرجل النمام غربال لا يبقي ولا يذر فتأمل . والكانون ، وهو شهر في قلب الشتاء ، والرجل الثقيل ، وهل اثقل من برد الكوانين .؟ فلاحظ جمال هذه الكلمات المنطوية على صور الحياة الواقعية الطبيعية ... وارجع معي الى بعض الكلمات العربية الفارسية في اللغة كالبربط ومعناه آلة الطرب المعروفة بالعود . وقد ورد في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني قصة اعرابي في عرس قال : آمنت بالله اولا ، وبك ثانيا ، وبالربط ثالثا . ومن فهم العربية والفارسية عرف ان العود ما سمى بربطا الا لانه اشبه بصدر البط والصدر بالفارسية برفقيل بربط . والثقافة والتثقيف واراهما مشتقتين من الثقاف وهو لغة آلة تسوى بها الرماح وليستا من الحذق والخفة والفطنة كما هو مبين لغة في القاموس. واتصور الرجل المثقف انه الرجل الذي كان معوجا فقوم بالعلم لا الحاذق الفطن ، قال عبيد بن الابرص يرد على امرىء القيس :

يا ذا المخوفنا بقتل ابيه اذلالا وحينا
ازعمت انك قد قتلت سراتنا كذبا رمينا
أنا اذا عض الثقاف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا وبعض الناس يسقط بينا وبينا ...

والزعرور لفظ ينطوي على جمال حقيقته ومعناه الرجل السيء الخلق وما سمي بهذا الاسم الا لانه يشبه الزعرور النبات الشائك السيء الثمرات . قال المتنبي وهو يهجو :

سموك زيتونا وما انصفوا لو انصفوا سموك زعرورا
لان في الزيتون زيتا يضيء وانت لا زيتا ولا نورا

ومن مجازات القلب البديعة في اللغة قوله تعالى في سورة النجم « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى » والقاب لغة الطرف والقوس لها قابان وهما السية والمقبض . ومعنى الآية الكريمة شدة الدنو وكانت قبل القلب « قابا قوس » فقلبت قاب قوسين لجمال الآية واعجازها وبديعها ... وفي الحديث الشريف « أياكم وخضراء الدمن » جمال وابداع تصوير وهي المراة الحسناء في المنبت السوء . وكأن مثل هذه المراة اشبه بخضرة تلك الدمن القذرة يستوي منظرها الرائي وهي لا تطيب شما او اكلا لقذارتها . قال الحريري لمن جاءه مستكبا وكان اي الحريري دميما قصير القامة :

ما انت اول سار غره قمر ورائد اعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

ومن الكلمات المستحبة لدي كلمة « ضيفن » قال المتنبي في قصيدته :

الحب ما منع الكلام الالسنا والذ شكوى عاشق ما أعلنا
لعنت مقارنة اللئيم فانها ضيف يجر من الندامة ضيفنا

والضيفن هو من يجيء مع الضيف متطفلا وكما تطفلت النون على آخر لفظة الضيف هكذا يتطفل الضيفن على الضيف . فانظر الى الذوق والجمال والفن والابداع في هذه اللغة .

رنــــدا

رقصت لنا .. رندا .. هنا
غصن تأود وانثنى
ساق لهيـف
فـوق السنا
والمنحنى
خطو .. رفيف
شرب الدفوف
رقصت لنا ...

هامت باجنحة الفراش
وعلى التلاويح العطاش
نهـد طفر
فوق اللحون .. فانكسر
شـوق الوتـر
.. رنـدا .. هنـا
ركـب سنـا
مـن حولنـا
لعبت .. وكم لعبت بنـا
يا ليت شعري .. ما المنى

عصرت صباها قصيدة
يـا للنغـم
بلغ القرارة من دمـى ..
حتـى القمـم
ركعـت هنـا

نسي الوجـود وجوده
وقف الزمن
ضحـك العبير .. فاينا
لم ينتش مثـل العبير ؟.

يا باقـة
ملفوفة .. بين الوهـج
هفهافة .. متنقلـه
لا تستقر على هـدى
مدبـرة
حينـا .. واخرى مقبلـه
فكانهـا متوسله
او انهـا متوغلـه
كالحلم في ارجائنـا
كانت تعوم .. مثل الالق
او كالنجـوم
حتـى الخطـى
ما تلتقـي
درب هنا .. او مفتـرق

قـدم ، وساق
كيـف اللحـاق ..

يا نقلة اللحـن الشرود
مـن غيرنـا
زحـم المراكـب للخلود
غنـى الصبـا
غنـى الوجـود
وهب الفراش جناحـه
وهب الخيالات الصعود
وهب القـدود
شعرا شفيفا .. او نشيد
ردي لنـا
ابـداعنـا
امـا نجـود

رقصت لنا .. رندا .. هنا
غصـن تأود وانثنى
ساق لهيف
فـوق السنا
والمنحنـى
خطو ... رفيـف
شرب الدفوف
رقصت لنا .. رندا .. هنا

ابراهيم خير
ام درمان ـ السودان

وانني اختتم هذا الحديث بقولي ان اللغة العربية تنقسم في بيانها الى اربعة اقسام منها : ما مات مجازه ومـاتـت حقيقته ، ومنها ما بقي مجازه وحقيقته ومنها ما ماتـت حقيقته وبقي مجازه ، ومنها ما بقيت حقيقته وحدها ومات مجازه . ومن القسم الاخير قول احد الشعراء يمدح اميرا في يوم عيده قـال :

انـت كالدلو لاعدمنـاك دلـوا	من كثير العطـا قليـل الذنوب
انت كالكلب في الحفاظ على الود	وكالتيـس فـي قـراع الخطوب

قيل فلما سمعه رجال الامير عمـدوا الى سيوفهـم وجردوها اليه فأستوقفهم وفهم من منشده انه يمدح كرمه وامانته وشجاعته فشبهه بالدلو والكلب والتيس .

وهكذا سمي مروان الحمار آخر ملوك الامويين لصبره .

قالوا وبقي ذلك البدوي في قصر الامير نديما يتنقل مـن بستان الى بستان وجاء يوم وقف فيه الشعراء ينشدونه فهب ذلك البدوي يحمل اليه الورد والآس قال :

يا من حوى ورد الرياض بخده	وحكى قضيـب الخيزران بقـده
دع عنك ذا السيف الذي جردته	عينـاك امضى من مضـارب حده
كـل السيوف قواطع ان جردت	لكـن سيفـك قاطـع في غمـده
ان شئـت تقتلنـي فانت مخير	من ذا يعـارض سيـدا في عبده

ولو سبر اللبيب الحاذق عمق الخيال واحصى ملامـح الجمال في هذه اللغة لشده بصورها وانفعالاتها وانعكاساتها وجمالاتها وقال مع ابي الطيب :

وكم من عائـب قـولا صحيحا	وافتـه مـن الفهـم السقيـم
ولكـن تأخـذ الافهـام منـه	علـى قـدر القرائـح والعلوم

كفرحاتا ـ لبنان **جبران جبور**



حسن فتحي خليل

كيتس .. وملهمته فاني

بقلم حسن فتحي خليل

* * *

ولد جون كيتس عام ١٧٩٥ من اسرة رقيقة الحال ، وقضى طفولة لاهية عابثة ، ثم انتظم في سلك الدراسة فأظهر ذكاء عجيبا في الدرس والتحصيل مما بشر بنبوغه وعبقريته، واضطر بعد ان وافت المنية والديه ان يغادر المدرسة ويعمل ليقوم بأوده ، فالتحق باحد المستشفيات للتدريب على الجراحة الى ان عين مساعد جراح .

وفي خلال هذه الفترة اتصل بالشاعر لي هنت الذي كان له تأثير كبير على افكاره ، فهيأ له طريق الشعر والادب، فهجر مهنته وسار في الطريق الذي رسمه له هنت . وبدأ ينشر الشعر وساعده شيلي وكان ممن يقدرونه فأخرج مجموعته الشعرية الاولى عام ١٨١٧ ولكنها لم تلفت اليه نظر النقاد او القراء ، ثم اتبعها بقصته الشعرية انديميون عام ١٨١٨ ولكنها لم تصب نجاحا في بدء ظهورها ، فقد هاجمها النقاد في قسوة ، ومع ذلك لم يفقد كيتس الثقة في نفسه وكان يقول : «اعتقد اني سأنضم الى زمرة الشعراء الانجليز الخالدين بعد مماتي » ولعل عزمه هذا وايمانه بنبوغه هما اللذان ساعداه لينتصر على نقاده ويثبت مركزه الادبي ، فتوفر اعواما كاملة على دراسة شكسبير واستقى من ينبوعه العذب الفرات ، ولما استكملت شخصيته الادبية نموها دانت له الشهرة لافراطه في حبه لفنه ورغبته الدائمة في الكمال الادبي .

ولكنه مع هذا كان ضعيف البنية هزيلا ، ويقولون انه ورث مرض السل عن والدته فكان لذلك اكبر الاثر في حياتـه .

ولقد حدث ليلة من ليالي سبتمبر عام ١٨١٨ ان كان يشرف على تمريض اخيه الاصغر توم العليل ، وكان جون قد سبق ان اخبره انه قبل حضور دعوة وصلته عن سهرة في احد منازل اصدقائه ، فالح عليه شقيقه المريض ان يذهب ، ولكن جون اعتذر بشتى المعاذير ، فتارة هو لا يرغب في صحبة او رؤية احد خلال تلك الامسية ، واخرى انه يود البقاء في المنزل منفردا . ولكن اخاه المريض جعل يدفعه للخروج دفعا وهو يقول : « ان شابا في الثالثة والعشرين مثلك يجب ان يملأ الدنيا مرحا وسعادة والا يبقى منفردا منزويا في ركن داره مشرفا على مريض مثلي في طريقه الى الموت » .

ولم يجد جون كيتس بدا ازاء اصرار شقيقه من ان يقوم الى ملابسه يرتديها ، وسار في الشوارع ينعم بذلك المساء اللطيف ، ولم يذهب الى الحفل راسا ، بل عرج على الحديقة الصغيرة واستمتع بالنسمات الرفافة تختلط بالضحكات السعيدة ، وبعدها دلف الى منزل صديقه المجاور فجلسا يشربان ويتحدثان عن صحة اخيه الى ان دعاه صديقه للذهاب معا الى الحفل وهو يقول : « لقد حان الوقت ، هيا نذهب .. فهناك فتـاة .. » فرد كيتس : « فتاة ! اذاً فلن اذهب » .

فقال صديقه : ما الذي تضمره للنساء يا صديقي ؟ ولماذا تحتقرهن هذا الاحتقار ؟

فأجابه : انهن يضيعن أوقات فراغي سدى ، فهن يتغابين ويثرثرن الى ان يوقعن في شباكهن زوجا ، ثم يحملن ويتألمن ويلدن اولادا مثل توم لا ينالون من هذه الحياة سوى الالم ، فكيف اذا تطلب مني ازاء هذا كله ان احب واتزوج؟

فقال صديقه : اذا فانت لا تنوي ان تكون زوجا سيد منزل ورب اسرة .

فقال كيتس : وانى كان لي منزل واسرة طيلة حياتي ! لقد ربتني جدتي وكانت اختي صغيرة ولم اكن اعرف شيئا عن النساء ، وكنت اعتقد انهن ملائكة نسيجهن النقاء والطهر ، ولقد غازلت فتيات كثيرات ولكن سرعان ما سئمت شخصياتهن التافهة السقيمة .. دعني الآن اعود الى اخي المريض فأنا راغب عن لقاء هذه الفتاة .

فجذبه صديقه من ذراعه وهو يقول ... والزواج ؟

فأجابه جون .. ارجو الا اتزوج ابدا .. فاني افضل العودة الى منزلي وهو خاو بدلا من ان اجد فيه اجمل فتيات كريستندوم . وعلى كل حال فلا تيأس يا صديقي .. لاني قد تزوجت زئير الرياح وعصفها وتبنيت النجوم الزاهرة في السماء !..

ودفعه صديقه فذهبا معا الى الحفل برغم احتجاجاته ، فالتف اصدقاؤهما حولهما ، وجعلوا يشربون ويسمرون حتى نسي جون احزانه وآلامه وبدأ يتكلم ويناقش ويضحك ويلهو الى ان دخلت سيدة المنزل الى الحجرة وبصحبتها

تلك الفتاة التي لم يسبق له ان وقعت عليها عيناه .. كانت صغيرة جميلة تبدو عليها مظاهر الصحة الوافرة ، فلم يرفع بصره عنها واضطرب وبقي صامتا يشخص اليها كالابله ، حينما كانت زوجة صديقه تقدمها اليه . ولما انحنى عليها يحييها كان بصره ما زال عالقا بوجهها الجميل .. وارتج عليه فلم يعرف ماذا يقول وخفق قلبه خفقانا شديدا ، واحس بشعور لذيذ يسري في كيانه كله .

وكان هذا هو اول لقاء بينه وبين فاني برون محبوبته العزيزة التي كان لها بالغ الاثر في مجرى حياته .

كان حينئذ في الثالثة والعشرين من عمره ، بينما كانت فاني في التاسعة عشرة فحسب وهز هذا الحب الاول مشاعره ووجدانه حقا ، فلم يكن قد احب من قبل ، بل كان كل همه في الحياة هو ان يؤدي تلك المهمة الادبية الكبرى الملقاة على عاتقه والتي كان يشعر انه انما ارسل الى هذه الدنيا ليتمها ، وكان يقول دائما : « اني اطمع في ان اقدم للعالم عملا خالدا يبقى على مر السنين بعد وفاتي » .

واشعلت تلك الحبيبة الجميلة خياله والهبت مشاعره ، فاذا بقصائده الممتازة تترى ، واغانيه واناشيده تتوالى ، ولمع نجمه في سماء الادب .. حتى انه كتب في احد خطاباته حينئذ يقول : « أن الحب يخلق جوهر الجمال » ، وهكذا كتب اخلد اعماله بعد لقائه بفاني برون ملهمته الجميلة .

واحبته فاني برون حبا عميقا ، وليس ادل على ذلك من انها قبلت ان ترتبط به وهو ما زال شاعرا خاملا لم تذع شهرته بعد ، ولا يمكن ان يمد اليها يد المساعدة التي ترجوها في حياتها ، او يفرش طريقها بالورود التي تحلم بها .

وتأججت عواطفهما وارتبطا برباط الحب فاغرقها في فيض من خطاباته الغرامية التي تعتبر كنزا من كنوز الادب الانجليزي الخالدة ، فكتب لها مرة يقول : « كان يروعني ان يموت انسان شهيد العقيدة ، الا انني على اتم الاستعداد لان اموت شهيد حبك ، ومن اجلك يا حبيبتي .. ان دستوري هو الحب وانت عقيدتي الوحيدة » .

وهكذا رفعته عاطفته الخالصة نحو فاني برون في شهور قليلة من شاعر مشكوك في شهرته الى عبقري خالد .

ولكن جسده الضعيف وصحته المعتلة دائما لم يحتملا كل هذا الاجهاد، فخر صريع المرض ولاذ فراشه مدة طويلة، وكانت فاني تحنو عليه وتزوره فتضفي انواعا من السحر على حبهما ، فكتب اليها يوما يقول : « سأتخيلك هذه الليلة وكأنك فينوس آلهة الجمال ، وسأبتهل اليك واصلي لنجمك كأني وثني » .

وكتب أيضا يقول : « انك دائمة التجدد ، فقبلاتك الاخيرة هي اشهى ما ذقت من قبلات ، وابتساماتك الآن تسحرني اكثر من ابتساماتك السابقات ، ولفتاتك الحالية تبعث فيّ النشوة كما لم تبعثها من قبل ... حينما مررت بمنزلي بالامس يا حبيبتي غمر قلبي الاعجاب بك كأني اراك للمرة الاولى ، ولا اذكر ان ذهني وروحي وقلبي قد اصابها جميعا من فنون السعادة ما اصابها بمجرد رؤيتك انت فحسب .. وحينما تشاركينني حجرتي تغادرني افكاري ومتاعبي وآلامي وتبقين انت مالكة على كل حواسي » .

وازدادت علته وثقلت عليه وطأة المرض فاضطر لان يسافر الى ايطاليا عام ١٨٢٠ ومن هناك كان يلاحقها بخطاباته ، ولكن يبدو ان المرض والوهم قد اثرا عليه ، اذ خيل اليه انها قد نسيت عهد حبهما لبعدها عنه ، فاعتلجت نيران الغيرة في قلبه ، وملأت عليه حياته ، فكتب اليها مرة وهو يقاوم ذلك الداء العضال على فراش الموت ومرجل غضبه يغلي :

« اني اضرع اليك بدم المسيح الذي تعتقدين فيه الا تكتبي اليّ اذا كنت قد اقترفت شيئا يؤلمني رؤيته خلال هذا الشهر ، لعلك قد تغيرت عن ذي قبل ، فان كان الامر كذلك فأنا راغب عن الحياة ، وارجو ان تكون هذه هي ليلتي الاخيرة ... فاني لا اقوى على العيش بدونك على شرط ان تكوني عفيفة طاهرة » .

بل كان يطلب منها في نوبات غيرته العمياء هذه ان تترك كل مسرات الحياة كما تركها هو تحت وطأة مرضه الفتاك، فكتب اليها يوما يقول :

« ان ذهابك الى البلدة بمفردك كان صدمة شديدة لي ، ولكني ارجو ان تعديني الا تعاودي ذلك ثانية حتى اتمالك قوای » .

ولكنه يعود الى هدوئه وثقته فيها ، فاذا هو وقد اشتدت به العلة واحس بشبح الموت يدنو منه يكتب الى صديق عزيز له يقول : « ارجو ان ترعى مس برون حين تلحقني المنية ، لعلك تتصور ان لها خطاياها ، ولكني ارجو ان تعتقد من اجلي انها نقية طاهرة » . ثم يقول له ايضا وهو يودعها ويسترضيها عن طريق صديقه : « لم استطع حصر فكري في فاني ، ولكن الراحة التي اشعر بها الآن انما هي لاستغراقي ساعات طويلة في التفكير فيما اهدته اليّ ... ذلك الخنجر في علبته الفضية ، وتلك الخصلة العطرة من شعرها ما زالت محتفظة باريجها الحلو ... وذلك الكتيب الصغير في غلافه المذهب ... دعها ترى كل هذه الاشياء ... فلا يمكن ان اقول اكثر من ذلك » .

وفتك به المرض فتكا ذريعا فلم يقو على مقاومته او مغالبته حتى عاجلته المنية عام ١٨٣١ بعد ان قضى فترة خاطفة هي ستة وعشرون عاما .. قضاها في هذه الدنيا التي لقي من آلامها الكثير ومن سعادتها لحظات خاطفات ، وبعد ان ترك للادب ذلك التراث الخالد .

وهكذا انطفأ السراج الذي ما بدا يضيء حتى نفخت فيه ريح الموت العاتية فأطفأته وخبا نوره .

الاسكندرية — **حسن فتحي خليل**

رسالة الى امراة لئيمة

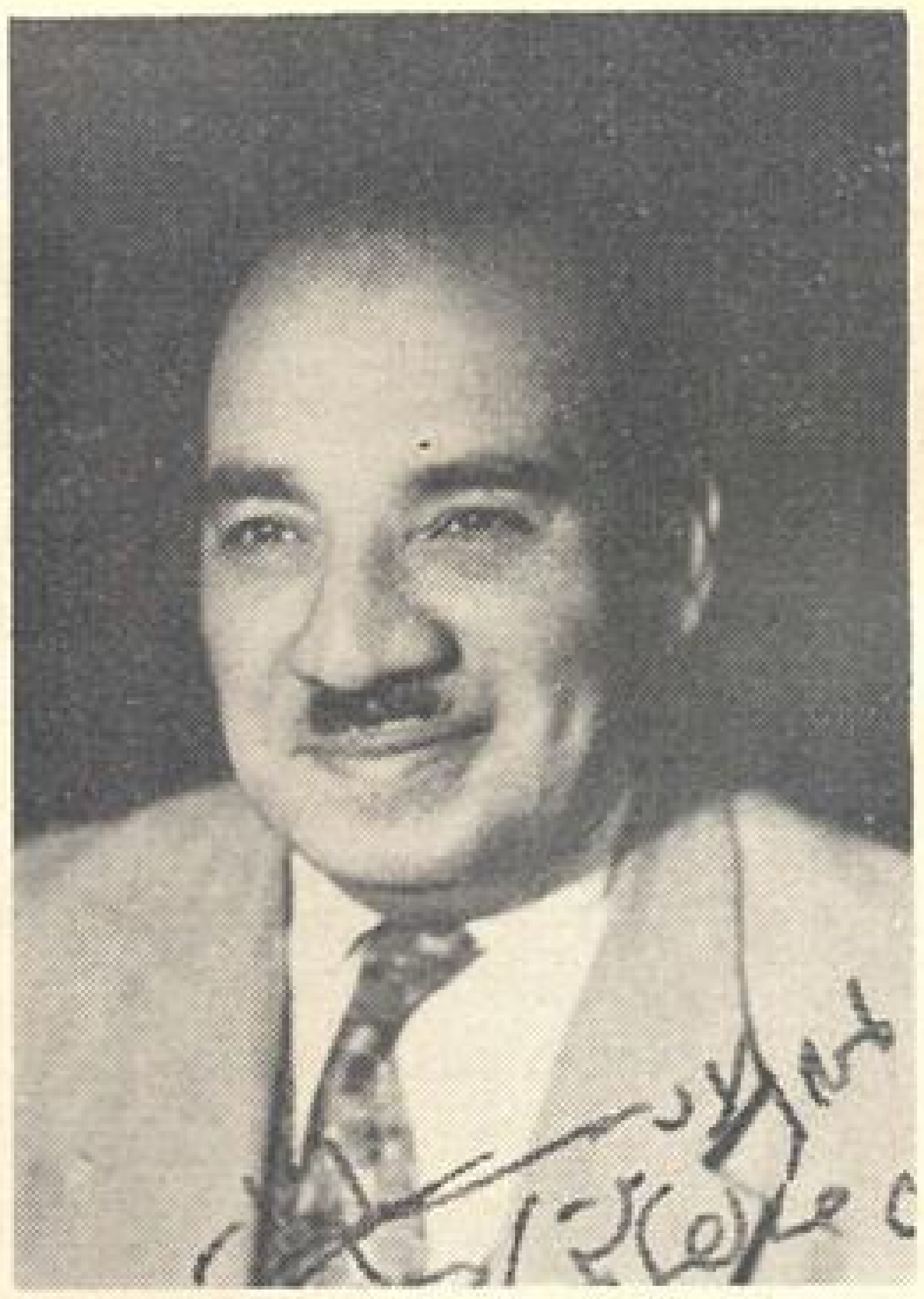
عبد الرحمن سالم عاليه

طولكرم ــ الاردن

وكفرت بي رغم الهوى المشبوب يحرق اضلعي
رغم التياعي ... رغم بؤسي ... رغم نوحي المفزع
رغم انكساري ... رغم فرط تألمي وتوجعي
رغم اشتياقي يستجيرك ... رغم هول تفجعي
لم ترحمي قلبي الجريح ، ولا ضراعة ادمعي
ونزعت اجمل برقع
وانسقت في تيار ثورة قلبك المترفع
وتركتني أبكي على اشلاء حلمي المتع

ماذا دهاك ترى وغيض فيك ينبوع الحنان
فطفقت ويحك تصرخين بغير عقل واتزان
أأنا الذي ــ بعد الوفاق ــ أهان عرضك في الصميم
ورمى ببيتك في الجحيم
واحال اسمك في الورى رمزا لعار مستديم
أختاه لا تتسرعي
تلك الحقيقة فاسمعي
ما زلت اذكر اذ لقيتك في طريق العمر مره
منبوذة تتبرمين بعيشة نكداء مُره ...
تبكين كالثكلى على عمر يضيع بلا حساب
تشكين مثلي وحدة حرمتك من متع الشباب
فمددت كفي احترام
وهتفت من قلبي ودمعي في انسجام
أختاه انك لن تضيعي هكذا بين اللئام ...
لن تحزني ... لا ... لن تُضامي
ما زال يحيا في الورى بعض الكرام
اني صديق فلتسيري فوق دربي في سلام
ومددت كفك في احتشام
ومكثت بعض العام سائرة معي عبر الطريق
واذا بحبك يستفيق
والشهوة العمياء تعصف في دمائك كالحريق
فهمست في اذني : تعال
لا تخشى من قيل وقال
كسر ضلوعي ... ضمني ... اطفىء لهيبي
نم فوق زندي ... شدني ... اغرق بطيبي
فوقفت مضطربا وفي شفتي سؤال
وركعت بين يدي تبتهلين لي أي ابتهال
وغرقت في دنيا الخيال
وسكرت من خمر الجمال
وصحوت اذ بك تصرخين بغير عقل واتزان
لم يا جبان
اغويتني وأهنت عرضي في الصميم
ورميت بيتي في الجحيم
وأحلت اسمي في الورى رمزا لعار مستديم

أوهكذا أضنيت قلبا كاد ينفطر التياعا
وتركتني في وحدتي ... ما قلت لي حتى : وداعا
ماذا أقول لك الغداة ... أهل لقولي الآن قيمه
ضيعتني ... اغرقتني في بحر آلام وخيمه
دنستني ... علمتني معنى الجريمه
أرهقت احساسي بأخطاء مروعة جسيمه
ماذا أقول : الا أغربي اني عرفتك يا لئيمه



انور الجندي

احمد عبده الشرباصي المهندس الفقيه

بقلم انور الجندي

***

كان ذلك ذات صباح من ايام الشتاء المشمسة عندما كانت في الطريق الى دمياط ، بعثة من وزراء الثورة ، تقصد الى حيث تواسي مهاجري بور سعيد خلال ايام العدوان . وفجأة وقفت العربة امام مبنى صغير ، له سور وحديقة وداخله بيت متواضع يوحي بانه بيت احد مهندسي الري، وقفت العربة فجأة ونزل الرجل الكبير الذي كنا معه ليسلم على ذلك الرجل العجوز الواقف ازاء المبنى .

ونزلنا لنعرف السر .. واكتشفنا من بعد . انه الجنايني . أو « الخولي » الذي كان يعمل مع « احمد عبده الشرباصي » مهندس الري منذ ثلاثين عاما ، وكنت اقول « يخدمه » لولا انه يكره هذه العبارة ولا يرضاها . فقد رأى وزير الاشغال انه من الوفاء وقد مر بهذا الطريق ان يسأل عن ذلك الرجل العجوز ويترجل ليقول له كيف حالك .. وكيف اولادك . وأهلك .

ولننظر لنرى هذا « المنزل الاول » للرجل الذي يدير شئون الري في بلادنا والذي استطاع ان يعرف عن امر النيل وفروعه وترعه وغدرانه وقنواته ما يدهش العقل ، حتى لكأنما تقصى هذه الشبكة المائية بدقائقها . وبلغ نهاياتها ولم يكن ذلك أمرا مبالغا فيه . فقد وقف مرة في مجلس الامة وتحدث عن ذلك حديثا مذهلا . فلم يترك ترعة او قناة او رشاحا دون ان يلم به ويلم بما يتصل به من اراضي وزراعات وقرى وأسر وفلاحين .. فهو يعرف اكثر من ٩٠ في المائة من اسر القطر المصري وعائلاته . حتى اذا اوردت له اسم اسرة قال لك : هل هي التي تقيم في المنوفية ام الشرقية ام البحيرة .

واذا ادهشني هذا الالمام بالاوردة والشرايين في الدورة النيلية على هذا النحو ، فقد اقول هذا « مهندس » ري عاش مع النيل معركة طويلة ، منذ تخرج من مدرسة المهندسخانة في الثلاثينات ورآه وهو يفيض ويفيض . ويغرق القرى ويتخطى السدود ويأكل الجذور ، ويذهب بمحاصيل القطن وشاهده وهو يفيض وينطوي ويخف ويصل الى التحاريق ولقد رآه من منبعه الى مصبه . وشاهده عند البحيرات في الجنوب . وعند فروعه الازرق والابيض في السودان وعلى طول طريقه حتى مصبه . ثم قرأ عنه كتب العلم ودرس ما كتبه عنه المهندسون الكبار وفي مقدمته وليم ويلكوكس . وشهد في خلال ذلك انشاء عشرات السدود والقنوات . وامضى سنواته الاخيرة في السودان قبل ان يوكل اليه امور الري في مصر سنوات الثورة . وفي ظل ذلك بدأ العمل الضخم في السد العالي. كل ذلك كان من صميم عمله . عمل المهندس .

ولكني حين رايته يقف بعربته ويترجل فيحدث «الخولي» الذي كان يعمل معه منذ ثلاثين عاما اكتشفت « الانسان » ذلك الانسان الرقيق القلب . المؤمن التقي . المشرق النفس بالصفاء والوفاء .. من خلف ملامحه الجادة وطابعه العملي . انه رمز على المصري العربي الاصيل ابن الوجه البحري الواعي . الذي امدته معاشرته للنيل وللفلاحين خبرة وحنكة وحذرا .

فلما بلغنا دمياط وزار الوزير المهاجرين وطوف بجموعهم ثم اتيح له أن يجلس في حديقة النادي . تحلقنا حوله مع الذين جاءوا لاستقباله فاذا بي أكتشف شيئا جديدا . ذلك هو جانب المفكر الاديب الباحث .

كان حديثه يوحي بذلك الفيض من الثقافة الواسعة والاستيعاب المستنير انها عصارة ايمان بامتنا وتراثنا وقيمنا العربية الاسلامية . انه ثمرة هذا الجيل الذي مارس الحياة والفكر في فترة ما بين الحربين ، وشهد في مطالع شبابه ثورة ١٩١٩ وسمع من آبائه بثورة عرابي . وفي هذه المنطقة من الوجه البحري كانت روح الخصومة للانجليز متقدة دائما في أوار لا يضعف ولا يخفت ، الصورة كلها من حولهم توحي بالثأر والكراهية . التل الكبير ، دنشواي ومشانقها « حسن طوبار » واسطوله ذو الخمسمائة سفينة ومقاومته لنابليون . علي مبارك المعلم المصري الذي خرج من احشاء الشعب واستطاع ان يصل

* احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وعضو المجمع اللغوي هو غير احمد الشرباصي الاستاذ بالازهر .

ان ارقى مراكز القيادة . محتفظا بمثله وقيمه يدعو الشباب الى مجلسه فيحدثهم . ويدفعهم على العمل وعلى اعلان كلمة الحق . وعلى مجابهة الحكام الظالمين . « دنلوب » ومقاومته للثقافة العربية الاسلامية . كل هذه هي ضمائر الفكر واطار الصورة النفسية التي عاشها هذا الجيل من الشباب الذي كان أحمد عبده الشرباصي من طلائعه ثم هذه الصورة التي عاشتها مصر بعد ثورة ١٩١٩ وكيف انهارت الثورة وتحطمت القيم . وغلب الصراع الحزبي وتخلفت فكرة الكفاح الوطني وراء مطامع الحكم وكراسيه. والبرلمان والانتخابات وصورها ووسائلها . ثم هذه الاصوات الجديدة التي برزت لتكشف الحزبية وتقاومها وتمهد للقضاء على العهد كله . العهد الذي بلغ فساده غايته . .

وفي خلال هذا التاريخ الطويل كان احمد عبده الشرباصي مهندس الري ينتقل من مكان الى مكان في قلب ريفنا . بين الوجه البحري والقبلي . ويعيش الصورة الحقيقية لاعمال شعبنا وامتنا . وهو في خلال ذلك قارىء لا يتوقف يقرا في القديم والجديد . في الشعر والادب في التراث العربي الاسلامي الغزالي وابن تيمية وابن حزم ويحفظ من اشعار الجاهلية ما يصعب حفظه اما المتنبي والمعري وجرير والفرزدق وابو تمام فلا يفوته بيت من الحكمة او بزوغ من ذاكرته القادرة ، يستشهد به ويشرحه ويعرف دخائله من جوانب البلاغة والنحو وصلته بالتاريخ والسير .

فاذا اتصل الامر بالفكر العربي الاسلامي ، بالقرآن او الحديث كان أمره كذلك حفظا وفهما ومعرفة لاسباب النزول وظروفه . ولعله مستطيع في ذلك كله ان يجادل المتخصصين في الفقه او التفسير أو البلاغة او النحو « قوي الحجة واسع الافق » لا يمل ان يطالع المطولات بحثا عن لفظ أو كلمة ، حفياً بان يعرف تطور الكلمات واشتقاقاتها كما يحب ان يعرف اصول النصوص ومادتها ويلم بالرجال والرواة والانساب على نحو علمي لا حد لروعته .

وقد يدهش هذا سامعه ، حين يجمع بين البراعة في مادته الاساسية الهندسة والري وما يتصل بهما وبين الدقة في مفاهيم الادب والفقه واللغة ولكن استاذه محمد حمزه اللغوي الحجة صاحب المؤلفات البلاغية المعروفة يقول انه كان كذلك منذ مطالع شبابه كان في الثانوي طلعة بعقلية علمية واسعة الآفاق تلم بالعلم والادب معا . وربما اخضعت الادب لاسس العلم وقواعده فلا تؤمن الا عن اقتناع ولا ترضى الا بالدليل والحجة .

وفي مجال العلماء الذين اتصلوا بالادب والفكر نجد الكثيرين ، ربما نجد الشعراء من المهندسين والاطباء ،كناجي وعلي محمود طه ، ونجد الفلاسفة الموغلين في دراسات العقائد وعلوم الاجتماع كالفيلسوف الجزائري ، مالك بن نبي فهو مهندس ، ربطته بالشرباصي صلات التقاء الفكر في مجال الدراسات العلمية ، والابحاث الفكرية الاسلامية .

ولقد أتيح لي ان القى الاستاذ احمد عبده الشرباصي في امسيات متعددة في « ندوة الباقوري » فاذا بي اجد انه قد الم الماما كاملا بكل ما صدر في ذلك اليوم من مؤلفات وكتب وما عالجت الصحف من قضايا الفكر والاجتماع . فاذا هو صاحب راي نافذ . يقوم على خبرة واسعة بشئون الحياة الى حصيلة من الثقافة والفهم الدقيق لتاريخ مصر والعرب والاسلام فكنت ادهش كيف اتسع وقته لذلك بالرغم من اعبائه في عمله الرسمي الشاق .

ولعل هذا الجانب المذخور في مفاهيم الفكر العربي الاسلامي في نفس المهندس العالم ، صاحب مناسيب النيل ، والقناطر والسدود والري والصرف هو الذي اهله لمجال العمل الجديد الذي حقق فيه نجاحا كبيرا ، ذلك هو مجال الاوقاف والازهر وشئون المجلس الاسلامي الاعلى ودار القرآن وما سوى ذلك من اعمال منوطة به الاذن .

تستمع اليه في حديثه في احدى مهرجانات الثقافة الاسلامية يقول :

« لقد حفظت القرآن في المكتب وظللت اتلوه واتدبر معانيه ، لكنني لم ادرك ابدا معانيه التطبيقية كما ادركها الآن في مجتمعنا هذا . لقد كان قلبي ينفعل به انفعال كتاب مقدس نزل من السماء على قلب المسلمين ولكني لم ادركه ابدا ولم اتفهم معانيه ابدا كما اتفهمه الآن ويخيل الي ان هذا الكتاب قد نزل على مجتمع يشبه مجتمعنا الحاضر في كثير من الاحوال . . » وانا لم اكن ادرك نعمة الله حيث يقول : (واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم اعداء، فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) الا حينما ادرك الآن ما يضطرب به العالم الاسلامي ، من تلك الخلافات التي استنفدت طاقتهم وما يبذله زعماء المسلمين من جمع الكلمة ، هذا الاتحاد ينقذنا كثيرا مما نحن فيه من تبديد لطاقتنا واستنزاف لمواردنا وتضيع لكرامتنا .

نحن في مجتمعنا هذا جديرون بأن نأخذ العبرة من القرآن حتى لكأنه كما قلت قد نزل على مجتمع مشتت مفرق كمجتمعنا هذا . . نعم نحن جديرون بأن نأخذ العبرة من القرآن . . »

لقد رايت الشرباصي عن قرب عالما مهندسا . وعالما مفكرا . في مجال الثقافة خطيبا بليغا رائع الاداء وباحثا لغويا يزاحم المتخصصين بمنكب عريض ، وقارىء دقيق القراءة لكل ما يصدر من آثار يناقشها في تبسيط وبلورة وهضم كامل ، ولعل له آثارا مكتوبة قليلة حبذا لو اخذت طريقها الى النور لتمنح فكرنا العربي الاسلامي شيئا جديدا وخصبا . ولعل في اختياره عضوا في مجمع الخالدين هذا العام خلفا للاستاذ لطفي السيد ما يدفعه الى تحقيق هذا الامل .

القاهرة — انور الجندي



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

حبيبي .. جاك !!

كنت اجلس اليه ، وهو يطوي من يده ديوان شعر بالفرنسية ، وما ان فرغ من تحيته لي ، حتى أشار الى الديوان الذي طواه ، ليقول لي :

أتدري أي ديوان هذا ؟!

قلت : من اين لي ان اعلم الغيب ؟ اي ديوان هو ؟!

قال : انه ديوان جديد ، لاحد الشعراء الفرنسيين الشبان ، وقد سجل فيه عواطفه ، على نحو يثير في نفسك البهجة والحبور ، او يثير فيها الحزن والاسى ..

قلت : ان وصفك مشوق ، فهل لك ان تسمعني لونا من الوان هذا الشاعر ، الذي استحوذ على اعجابك ، وحاز رضاك دون تحفظ ؟

قال : واني لن اطيل ترقبك لما طلبت ، فهذه قصيدة كنت اقرأها قبل حضورك ، يصف الشاعر فيها ، أحاسيس فتاة مات خطيبها في الهند الصينية ، يقول فيها :

كانت تقف امام النافذة المفتوحة ..
ونسائم الاصيل تتسرب منها ..
فتعبث بذؤابتها الشقراء الناعمة ..
وفي يدها البضة صورة ذلك الفتى ..
وقد امتلأ وجهه شبابا ونضارة ..
وعلى كتفيه كواكب الجندية اللامعة ..
فخرجت من شفتيها المرتعشتين زفرة حرى ..
ارتجفت لها مجاري التنفس في النحر الجميل العاري ..
وانسكبت من العينين الزرقاوين ..
اللتين اذبلهما الحزن والاسى ..
قطرات من اللؤلؤ سالت على الخد الاسيل المتورد ..
وتمتمت بصوتها الخافت : قتلوه ..
قتلوه اولئك البرابرة المتعطشون للدماء ..
قتله وحش بشري ..
يزحف اليه بين الوحول ..
والخنجر المرهف الحد مثبت بين اسنانه ..
حبيبي جاك ..
احقا انني سوف لا القاك ..

وهنا زفر صديقي زفرة حرى ، كأنما هو قد تأثر بالفاتنة الفرنسية المفجوعة بخطيبها . وقال لي والتأثر يبدو في نبرات صوته ، قال : كيف ترى ؟!

قلت وانا اتصنع الاسى مشاركة له :

انه شيء مؤثر .. ولقد كان صاحبك موفقا في وصفه ، وحسبك انه جعلني اشاطره المشاعر ، فأتصور الكاعب الفرنسية ، بذؤابتها الشقراء الناعمة ، ونحرها البض العاري ، الذي يكاد يشق عما تحته من مجاري التنفس ، وعينيها الزرقاوين تفيض منهما لآلىء الدموع ، على الخد الاسيل المتورد ..

نعم .. انه شيء جميل ، أن يعرض الشاعر بين يديك هذه الصورة للفتاة الفرنسية ، وخاصة اذا كان قد لوعها الحزن ، واذبلها الاسى ..

ولكن .. هل لي ان ابتعد بك قليلا عن هذا الجمال الحزين ؟!

قال صاحبي ، وكأنما أيقظته من حلم :

الى اين تبتعد بي ؟!

قلت : الى اولئك المتعطشين للدماء .. الى ذلك الوحش البشري الذي كان يزحف الى خطيبها بين الوحول ، وقد امسك خنجره المرهف بين أسنانه القاسية ، دعني اصل بك الى هذا الوحش البشري بالذات ، هل كان يفعل ذلك في باريس ؟ هل كان يهاجم خطيبها في بيته الوادع هناك ؟ هل جاء اليه في ظلمة الليل ليعكر صفو عيشه ؟ هل فعل ذلك هذا الوحش البشري في فرنسا ، ام كان يفعله في وطنه ، الذي سلب المستعمر حريته واستعمر ابناءه ؟!

لا يا اخي ..

انك تشاهد الصورة من طرف واحد ، ولو نظرت اليها من سائر اطرافها ، لرايت فيها ان ذلك الزاحف بين الوحول في ظلمة الليل ، والخنجر بين اسنانه ، لم يكن وحشا بشريا ، وانما كان بطلا ماجدا ، يدافع عن وطنه ، دفاع اليائس المستميت .

وهنا طوى صاحبي ديوان شعره ، وهو يقول :

كنت أظنك تتذوق الشعر ..!!

قميص عثمان

ان لي قارئا يقرأني في كل ما انشره ، من اول حرف أخطه ، حتى اخر اشارة اختتم بها كلامي ..

يقرأني هذه القراءة الجاهدة المريرة المتلاحقة ، لا ليفيد علما ، او يكتسب معرفة ، او يزيد اطلاعاً ..

كلا .. والف كلا .. حاشاه ان يفعل كذلك من اجل ذلك.

فهو يوقن احر اليقين ، ان ما بلغه من مراتب المعرفة ، ليس بعده مبلغ ، وان علمه لا يصل الى مثله علم ، وان اطلاعه فاق ما وصل اليه الاقدمون والمحدثون ..

انه يعتقد ذلك ويدعو اليه ، ويسخر من حوله يدعون اليه بمثل دعوته ، وقد أوصل الى يقينهم : ان ما يقوله عن نفسه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

وتسألني : في م قراءته اذن لما تكتبه ؟!

واجيبك : ان بذلك كله ، يحاول ان يجد فيه مغمزا ، وان يصل منه الى موضع ، يدلف من قبله الي ، لينالني بلواذع الكلم ، ويكزني ما وسع جهده ، بكوعه وبوعه ، لينحيني عن طريقه جملة وتفصيلا ، ليسير فيه ملوحا بيديه ، متمايلا بعطفيه ، وعذره الى نفسه : انه لا يريد ان يقف على طريقه احد ..

وتقول لي : وما الذي بلغه من ذلك كله ؟!

فاقول لك : لا شيء ..

ولكنه حتى لا يعود يخفي حنين ، تشبث بما عثر عليه من اخطاء في الطباعة ، فجعل منها قميص عثمان ، وزعم ان الكاتب اصبح لا يقوى على كبح جماح قلمه ، فارخى له العنان يسير كيف يشاء . ثم يضرب بقبضة يده على موضع تلك الاخطاء، ليؤكد زعمه هذا ،ويثبته في الاذهان.

وحين لا يشاهد ممن يستمع اليه الا ابتسامات الاشفاق ، يعود ثانية الى سمت وقاره ، ليقول : انهم يخطئون على حسابه كثيرا ،وكان جديرا بهم ان لا يخطئوا.

قلت : انك يا صاحبي محظوظ وانت لا تدري ..

قال : واين مكن ذلك ويحك ؟

قلت : مكانه ان تجد من يقف فوق رأسك بسيف ملاحقته وتحريه ، فاذا انت تحاسب نفسك عسير الحساب ، قبل ان تخرج على الناس بما تكتب ، وماذا تريد اكبر من هذه النعمة ؟!

فابتسم صاحبي وصمت ..

وكأنما ايقن انني اهون عليه الامر ، فلا اقيم له كبير وزن ، فقبل مني ذلك ، وامسك ..

كل نادر .. غريب !!

ان الذي تواطأ عليه الناس ، ووصلوا فيه الى الحد الذي تلاشى عنده سؤال وجواب ، حتى استقر عند ما يشبه التسليم ، وان كان لا يشبه القبول والرضا ..

أجل ، ان هذا الذي تواطأوا عليه ، هو ان لا يكون بين الرئيس ومرؤوسه ، الا ما يكون بين تابع ومتبوع ، وآمر ومأمور ، ومطيع ومطاع ..

فهو لا يناقش في خشونة الطلب او قسوة التساؤل ، ممن تقدمه وعلا عليه ، لانه لا يقبل ان يناقشه احد ، حين يفعل ذلك مع من يليه في المرتبة ، وينخفض عنه في المقام.

تلك سنة تلاحق عليها السائرون ، فما يعترض على ذلك معترض ، بل ان التساؤل والاعتراض ، تلوح ظلامهما على الوجوه حين لا يكون ذلك ..

وهذا ما حدث لي بالامس ، اذ كنت أجلس في مكتب احد المسؤولين ، فدخل عليه تابع له في العمل ، وجرى بينهما نقاش ، وتوالى سؤال وجواب ، وتلاحق الاستفهام والتحري ، حتى استوفى ذلك المسؤول غايته ..

وكان الذي أستلفت نظري فيما سمعته ورايته ، ان لا تكون هنالك خشونة طلب ، ولا قسوة تساؤل ، ولا جفاء حديث ..

لا ، لم يكن شيء من ذلك ، وانما كان احترام في حد الاعتدال ، لا يذهب الهيبة ، ولا يرفع الكلفة ، ولا يزيل التحفظ .

ورأيت ذلك الرئيس ، يصل من نقاشه مع تابعه ، الى حد يغريه ان يراجع أسلوبه الذي يسير عليه في عمله ، فاذا هو يلتفت اليه متوددا ، ليمدح سيرته ، ويثني على حسن تصريفه للامور ، ثم يجعل ذلك مدخلا الى ان يقول: ان المنهج الذي تعودت السير عليه ، هو ان افيد من تجارب الاخرين ، فهل لك أن تتيح لي مثل هذه الفرصة ، لانتفع من خطتك في عملك ، فتطلعني عليها مجتمعة متكاملة ؟!

ذلك مشهد لفت نظري ، واثار دهشتي ..

وقد لا يكون فيه موضع للغرابة ، ولا مكان للدهشة ، فذلك ما يجب ان يكون بين الناس ، ما دام يتيح لهم ان يصلوا الى ما يهدفون اليه من غايات ..

ولكن الذي يجعله غريبا في نظري ، أن تجد من يسير عليه نادراً بين سواه ، والنادر بطبيعته موضع للدهشة ، ومكان للاستغراب ..

هاتوا برهانكم !!

قال لي : ارأيت اولئك الهامسين من خلف المناكب ؟!

انهم يقبلون عليك بوجوه تفضح دخيلة نفوسهم ، التي اظلم فيها الحقد ، وازدحمت في جوانبها عقارب الضغينة، فيدب واحدهم نحوك دبيب المخمور ، ويحني اليك عنقه ، ويطوح راسه خلف كتفك ، ويهدل اجفانه حين يعتكر في عينيه غبار الوشاية ، وترتجف الفضون عند جانبي فمه ، وهو يهمس بصوت ابح ، كأنما هو فحيح الافعى ، ليمضي يفرغ في اذنيك : قال زيد .. وفعل عبيد ..

ولا تسلني ما يبلغه امثال هذا من الافاكين ، وانهم كثيرا ما يصلون الى بعيد الغايات ، عن هذا الطريق المعوج ، وكثيراً ما ينالون الابرياء ، الذين لا علم لهم بشيء مما قالوه افتراءا وعدوانا ..

وكثيرا ما يقوضون البيوت الامنة ، وقد نفسوا على من

فيها ان يعيشوا في دعة وطمأنينة واستقرار ..

وكثيرا ما يذهبون النعمة ممن هي في يده ، ولتذهب هدرا الى الشيطان ، فحسبهم ان يجدوا مكانها البؤس والشقاء . وذلك ما يرضيهم ويبهج قلوبهم ..

نعم ، كثيرا ما يصلون الى ذلك وامثاله ، وسلاحهم كما قلت لك ، ذلك الهمس الابح ، وتلك الإيماءات الخرساء ، وما يلي ذلك من عينين زائغتين ، ومسحة مكفهرة ، ويد خفيفة الحركة ، تؤمن على ما يجري به اللسان ..

قلت لصاحبي :

حسبك .. لقد جسدت لي ذلك النمام في صورة ناطقة هازلة ، على نحو ذلك الذي يسمونه (الكاريكاتور) ..

ولكني أقول لك :

ان هذا السلاح قديم ، وقد كانت له دولة فدالت ، ويكفيهم ان يجدوا في هؤلاء الواعين ، ممن بأيديهم المقاليد ، من يقول لهم : « هاتوا برهانكم .. او اصمتوا .. »

اجل ، يا اخي ..

يكفيهم أن يجدوا في هؤلاء الواعين ممن بأيديهم المقاليد ، من يقول لهم هذا القول ، ليوقفهم به عند الحد الذي كانوا ينطلقون منه الى غايتهم الخبيثة ..

عند باب الاحزان

رايتها تقف هناك ، ساكنة الحركة ، ساهمة الوجه ، راعشة الشفتين ، تحدق بنظرها عبر الممر الطويل ..

فشبهتك بذلك الذي ينظر الى الافق ، بكل ما في نفسه من تحفز وترقب ، ينتظر أن يطل عليه بشير يحمل اليه البشرى ، فتملأ نفسه بالغبطة والفرح والمسرة ، او نذير يحمل اليه نبأ الفاجعة ، فتعكر صفو عيشه ، وتبدل ما هو فيه الى هم وغم وحزن ..

وطال بها الانتظار ، وطالت مراقبتي لها ..

واخيرا أطل الجمع الحاشد ، واقبل يزحف نحو الممر ، وقد اختلط فيه حابل بنابل ، وكلهم يحمل بيده شيئا يحرص على أن يعبر به الممر ، ليكون رسالة الشوق اللاهب ، تتقراها العيون ، وتتلمسها الايدي ، وتتذوق بها حصادا من الجهد المسلوب ، الذي طالما سكبت فيه ذوبا من النفوس ، وفيضا من الحرمان والعرق والدموع .

وبانت تفاصيل هذا الجمع ، فاذا هم مزيج حائر ، تزاحمت فيه اخلاط من الناس ، فشيخ يدب على عصاه ، وعجوز تشبثت بكاهل حفيدتها ، وفتيان وفتيات وصبية ، تقرأ في ملامحهم جميعا من الشوق واللهفة ، ما لا يحيط به وصف ، ولا يستوعبه تفصيل ..

وتلاحقت انفاس المراة الواقفة عند عدوة الممر ، تلاحقت لاهثة ، مبهورة متقطعة ، وفجأة هتفت من قرارة نفسها ، وقد التمع في وجهها بريق من الغبطة ، هتفت بصوت ابح :

« مرتا .. ابنتي .. ابنتي مرتا .. حبيبتي .. » .

وركضت بخطوات كليلة ، وهي تبسط ذراعيها ، لتستقر بهما على كتفي تلك الفتاة النحيلة السمراء ، التي اقبلت عبر الممر مع الجمع الحاشد ، وهي تقود بيدها صبيا دون العاشرة ، وتحمل بالاخرى صرة اجهدها حملها .

وهجمت الغبطة العارمة على قلب العجوز ، فتهاوت على كتفي ابنتها الوحيدة ، التي حجبتها النكبة عن رؤيتها سنين عديدة ..

وافلتت الفتاة النحيلة السمراء ما في يديها الاثنتين ، وانحنت على امها العجوز ، تسعفها وتحنو عليها ، وتغسل وجنتيها المتغضنتين بدموعها السخينة ، وتفرغ في اذنيها وهي لا تعي ، بصوت هامس حنون ، الكثير الكثير من عبارات المودة والحب ، التي فاض بها قلب فتاة يائسة ، كتب عليها ان تذوق اليتم بكل ما فيه من مرارة ، وامها لا تزال على قيد الحياة ..

تلك صورة من مأساتنا الفاجعة ، شهدتها عند باب الاحزان ، عند (بوابة مندلبوم) في بيت المقدس .

وانها لواحدة من كثيرات ، يشهدها الناظرون عند هذه البوابة . فتذكرهم بالجرح البالغ ، الذي سيظل ينزف دما ، الى أن تحطم هذه البوابة ، ونزيل اثارها من وجودنا العربي ..

عمان ــ الاردن — محمد سليم رشدان

يائسة

*

تحطم حلمي الذي اعبده
فتحطمت حياتي معه
وتساءلت نفسي في لوعه
لاي شيء اعيش
بعد ان تحطم الحلم المعبود
وسدت امامي جميع الدروب
طرقت ابوابا عديده
فلم يجبني سوى الصمت
وصدى طرقاتي يتردد
فيبعث القشعريرة في نفسي
ويذكرني بمدينة الموت
واعود لوحدتي ويأسي
وللسؤال الذي تعيده نفسي
لاي شيء اعيش
بعد ان تحطم الحلم المعبود
وسدت امامي جميع الدروب ؟

الخبر — سارة بوحيمد

اسماك ... لطيور البحر

●

افكار مهاجرة

الافكار تهاجر من رأسي اسرابا ، اسرابا
وبعضها يموت في الخليج المعتم هناك
في الخليج الذي انتشى يوما
بنبيذ افكاري الذهبية
ونشر اشرعة احلامي البيضاء
المسافرة ابدا مع الغيوم والرياح
نحو مدن تعبق في اجوائها روائح الغابات
عبير الاصداف والاسماك البحرية ...
رأسي اصبح مدينة حضارات مندثرة
وشاطئنا بلا متنزهين ، بلا حدائق ، بلا مقاهي عامرة ...
اما الخليج الذي سكر يوما بنبيذ افكاري الذهبية
فيصرخ الآن ، باشداق امواجه المتكسرة على الصخور ...

عصفور بحري

ايها المسافر نحو مدينة البحر والصنوبر والارز
اوصيك ان تجلب لي معك زجاجة مليئة بماء البحر
زجاجة صغيرة ايها المسافر
علني اصطاد من خلالها عصفورا بحريا
هاربا من غابات الصنوبر المغتسلة ابدا بهواء البحر
عصفورا في قصيدة حرة ...
علني اشم روائح البحر الممزوجة بطعم الملح
وقوارب الصيادين ... ودخان البواخر المسافرة ...

تشرد

لقد جبت البراري ، الشطآن النائية
وتشردت ... وقضيت ليالي باكملها متسكعا
في الطرقات ، المقاهي ، الخمارات ، والشواطىء
ارنو الى وجه السماء الذي صيرني
دوامة من تشرد وضياع ...
الحظ ، كان ، ولا يزال عدوي منذ الازل
وما زلت اتحداه بكبرياء همجية ...
الشاطىء كان يرأف بقلبي المسكين
واشرعة المتنزهين ليلا
تبكي على القلب الذي يتناثر زبدا وجراحا
على الصخور ، والرمال الساهرة ...

اشعار مذهبة

ان عينيها ترصدان قلبي ، كباشقين
من وراء الزجاج
كعيني صياد ينتظر بلهفة
سربا من البط البري او طيور الحجل ...
يا لعينيها المفترستين ...
هذا أنا ، شاعر مشرد
كل كنوزي في الحياة ، جنون شاعري
وقلب ينبض ابدا بحب الشعر والحقيقة والجمال !!..
... واشعاري المذهبة ، ترى متى يضمها كتاب انيق
علّ حبيبتي الحلوة ، ذات العينين المفترستين
تحلم ساعات مع اشعاري المذهبة ...

دمشق — سليمان عواد

غوغول الانسان والقاص

بقلم ليون سبلمان

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

نقولا فاسيليفيتش غوغول – يانوفسكي (ترك الكاتب القسم الثاني من لقبه الثنائي بعد أمد من الزمن) . هـذا الانسان (صاحب هذا الاسم الطويل) وصل الى بطرسبرغ في اواخر كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٢٨ بعد سفر شاق طويل . لقد قدم من اوكرانيا مخلفا وراءه مقاطعة عائلته في فاسيليفكا ، ووالدته الارملة ، التي كانت يومئذ في اواخر العقد الثالث من عمرها . (توفي والده حين كان في السادسة عشرة من عمره) واربع شقيقات اكبرهن في الثامنة عشرة واصغرهن في الرابعة . كانت مقاطعة الاسرة ذات مساحة متوسطة وادارة رديئة جدا . كانت قلة المال عند الاسرة قلة مزمنة ، الا ان الارض الاوكرانية الطيبة كانت من العطاء والرفد بحيث ان اقل جهد يستدر عطاءها لو صدر من قبل سادتها او عبيدهم .

لم يكن مع غوغول الشاب (الذي لم يكد يبلغ العشرين حين وصوله العاصمة) غير كمية قليلة جدا من النقود وقليل من رسائل التعريف ذات الجدوى اليسيرة ، ودبلوم حصل عليه بعد ان امضى ثماني سنين في مدرسة داخلية في مدينة نيزين الاوكرانية . كانت تلك المدرسة حسنة المستوى بالقياس الى مستويات تلك الايام . غير ان سجل غوغول لم يسطع بامتياز ما ! لكن نجمه لمع في التمثيليات الطلابية وخاصة في الادوار الهزلية التي اجاد فيها كل الاجادة . كما ان غوغول جلب معه مسودة غير كاملة لقصيدة قصصية طويلة بعض الشيء . وهذا ما كان سره الذي احتفظ به لنفسه .

ان غرض غوغول ، على الاقل ، غرضه الذي جاهر به ، وسبب قدومه الى بطرسبرغ ، هو الدخول في وظيفة حكومية . هذا ما فعله بعد نحو عشرة اشهر من وصوله ، وبعد تردد كثير . الا انه لم يمض في الدوائر الحكومية سوى خمسة عشر شهرا تقريبا . فكر غوغول مليا في خدمة الحكومة قبل وصوله الى عاصمة الامبراطورية ، مفضلا وزارة العدل . انه سيصبح خادما عظيما من خدام المصلحة العامة ، يشار اليه بالبنان لنزاهته وحكمته . لكن خيبة الامل في الوظيفة الحكومية واجهته قبل ان يتسلم العمل الاول . ومع ذلك فهو لم يبعد عن اعتباره طرقا اخرى الى العظمة . والواقع ، انه ان كان واثقا من شيء ما ، فهذا لا يعني الا اعتقاده الجازم بان حظه في الحياة حظ متميز بارز . كان الخلود هدف الشاب الرئيس حين دخوله الحياة . لكن نداء القدر ، على حتميته ، لم يحدد مسيرة رسالته الجليلة ولا طريق العظمة التي قدر عليه اتخاذها .

بعد نحو خمسة اشهر من وصوله الى بطرسبرغ اكمل غوغول قصيدته وطبعها على نفقته . (او بالحري على نفقة والدته) . ذلك بانه ارسل نداء يائسا الى بيته طالبا ثلثمئة روبل لحاجة مستعجلة غير محددة) . كانت القصيدة رومانية والمانية . عنوانها واسم بطلها : هانز كو خلكارتن . وعلى اثر نشر تعليقين غير مرضيين سحب المؤلف النسخ المباعة . (عدد النسخ المباعة ثلاثة) واحراقها . لقد كان من حسن حظه انه استخدم اسما مستعارا . ولم يعرف ان غوغول هو ناظم القصيدة الا بعد مضي عدد من السنين . ثم جرت حادثة غريبة اثر كارثة (كوخلكارتن) : فقد تسلم غوغول مبلغا من المال من والدته لتوفية الفوائد المترتبة على مقاطعة الاسرة . فبدلا من دفعها ابحر على ظهر سفينة الى ميناء لوبيك الالماني . كانت رسائله الى والدته بليغة مفعمة بالعاطفة لكن الاضطراب اكتنف اسباب سفره المفاجىء وخططه عن المستقبل . وبعد ستة اسابيع قفل غوغول عائدا من المانيا الى بطرسبرغ . والمرء يجد ، سواء في رسائل غوغول المبكرة اي التي كتبها قبل نزوحه الى بطرسبرغ ام في رسائله المتأخرة ، يجد اشارات الى خطتين عن مستقبله على الاقل . اولاهما هو العمل في وظيفة حكومية ، والاخرى هي حلم اكثر من كونها خطة ، لكنها حلم يعود بين آونة واخرى ، ومؤداها : ترك بيته ووطنه والذهاب الى بلاد اجنبية ، فريدا ، حاجا يبحث عن طريقه للوصول الى معبد مجهول ، ومذبح سري عليه يود تقديم نفسه ضحية .

وهذا الموضوع موجود في الرسائل التي كتبها حين كان في السابعة عشرة من عمره وهو الموضوع الرئيس في ابيات قصيدته المهلهلة التي تسرد قصة شاب الماني ترك الراحة والسعادة وذهب حاجا بيده عصاه الى بلاد قصية . ومهما يكن من امر فانه ، في الختام ينبذ مسعاه بحثا عن (المطلق) ويعود الحاج الى مدينته ليتزوج الانسة لويزه مضحيا بالمثل الاعلى في سبيل اغنية من اغاني الرعاة .

وفي سنة ١٨٣٦ عاد ناظم « هانزكو خلكارتن » مرة اخرى الى ظهر احدى السفن المتوجهة الى مينائي لوبيك وهامبورغ . كان هذا بعد سفرته الاولى بسبع سنين . وما عدا شتائين امضاهما في روسيا (١٨٣٩ – ٤٠) و (١٨٤١ – ٤٢) فان غوغول هذه المرة قضى في الخارج اثنتي عشرة سنة ولم يعد الى الوطن الا سنة ١٨٤٨ اي قبل وفاته بأربع سنين .

وفي غضون السبع سنين ونصف التي قضاها في بطرسبرغ خدم غوغول خمسة عشر شهرا في الوظائف الحكومية وثلاث سنين في مدرسة للبنات تدعى (المعهد الوطني) ثم عين مساعد استاذ في التاريخ بجامعة بطرسبرغ

وقضى سنة يقدم فيها محاضرات لم تشهد على لوذعية عميقة خاصة به . وفي الختام ، ومع مرور هذه السنين اصبح كاتبا مشهورا . جاء النجاح بعد نحو سنتين من نشر « كوخلكارتن » السيئة الطالع « أماس في مزرعة قرب ديكانكا – ايلول ١٨٣١ ، اذار ١٨٣٢ » وهي مجموعة قصص اوكرانية كانت قد نالت استحسانا حماسيا وهذا النجاح اعقبه النجاح تلو النجاح .

جاء فرار غوغول الاول الى بلاد اجنبية سنة ١٨٢٩ على اثر فشل قصيدته (قصيدة ينبغي للمرء ان يتذكر انها تتحدث عن الفرار الى بلاد اجنبية) . وبعد ذلك بسبع سنين أي في سنة ١٨٣٦ حدث سفره عقب اول تمثيل لـ « المفتش العام » التي هي ، ولا شك ، أعظم كوميديا كتبت بالروسية ، وهي التي لم تترك المسرح الروسي قط من يوم تمثيلها الاول في نيسان ١٨٣٦ . كانت المسرحية لمعاصريها مدعاة للاخذ والرد وشيء من اللفظ في النقد . ومهما يكن من أمر فان عنف كلام غوغول وشدة خصومته اضطرتاه الى ترك وطنه .

فهل كان لا بد لـ « كوخلكارتن » ان يعاد تمثيلها لتبرر فراره الجديد ؟ اضاف غوغول الى عدم ثباته الغريب سببا آخر لرحيله : فقد عزم على ان يكرس نفسه لعمل عظيم فيه تصور روسيا بأسرها . ولاكمال هذا المشروع العظيم كان عليه الابتعاد عن روسيا .

كان هذا العمل هو « النفوس الميتة » كتب غوغول الفصول الثلاثة الاولى قبل تركه روسيا . وقد سافرت المسودة معه بحرا الى لوبيك ثم عبر المانيا الى جنيف و « قيقي » التي يقربها على سواحل بحيرة جنيف حيث استأنف العمل هناك . واستمر به في باريس ثم في روما حيث قضى غوغول فترات طويلة من حياته في غضون اعوام النفي التي فرضها على نفسه .

اكملت « النفوس الميتة » سنة ١٨٤١ ونشرت سنة ١٨٤٢ . فنالت استحسانا حماسيا . وكان غوغول حينئذ في الثالثة والثلاثين .

اما السنوات العشر المتبقية من حياة غوغول فقد كرسها لوضع تتمة لـ « النفوس الميتة » فشرع في كتابة مجلد ثان قبل اكمال التنقيحات الاخيرة للمجلد الاول . لكن غوغول لم يرض بعمله فدمر المسودة سنة ١٨٤٥ وشرع في العمل من جديد .

وفي سنة ١٨٤٨ عاد الى روسيا من سفرته الى البلاد المقدسة . كانت لديه اربع سنين اخرى ليحيا . اما موته في شباط (فبراير) ١٨٥٢ فكان من حصيلة عمله ، فقد فرض على نفسه صياما قاسيا (كان صوم الخمسين) ثم رفض كل نوع من أنواع الطعام . كما اسرع الاطباء المتحمسون اكثر من اللزوم ، الكليلو العين ، في نهايته . كان غوغول مريضا نموذجيا بالوهم عدة سنين ، وكان يتشكى ويبحث عن ادوية لاعراض نسميها الان اعراض مرض نفسي كاذب . وفي هذه المرة كانت مخاوفه من المرض محققة وكان تشاؤمه عن موت مبكر في مكانه .

ففي ليلة الحادي عشر من شباط (فبراير) أي قبل عشرة ايام من وفاته احرق غوغول في مدفأة مكشوفة مسودة المجلد الثاني من « النفوس الميتة » .

وفي بداية المراحل الاخيرة من عمله في المجلد الاول سيطر على غوغول مركب نقص : اي انه هو المختار لابلاغ رسالة فيها وعيد ونذير لمواطنيه ، رسالة الحق فيها قوة قاهرة بحيث تستطيع اعادة بناء الكيان الاخلاقي لروسيا بأسرها . ان صورة نفسه بصفته سياسيا عظيما ومصلحا اخلاقيا ظهرت مبكرة جدا في حياة غوغول . ثم انحسرت في عدد من السنين ، سني ابداع غوغول الفني العنيف . ثم ما لبثت ان طفحت الى السطح مرة اخرى وهي اعنف ما تكون قوة وشدة .

ان ما كان يسعى غوغول لانجازه من عمله العظيم ذاك هو الجمع بين صورتين نموذجيتين ، بين الشاعر العظيم وبين القائد او السياسي الذي تكمن سلطته في عبقريته ومعرفته للحقيقة . على اي حال ، كان الجمع مستحيلا لذا استنفد غوغول موهبته الخلاقة في محاولته لاستخدامه لها كأداة للدعاية الاخلاقية . وكلما كان يشغل نفسه بمشروعه العظيم كان الشك يعذبه : الم يخطىء في الاعتقاد بانه اختير لرسالة عظيمة ، واذا اختاره الله لذلك فلماذا لم يهبه القوة التي يحتاجها لحمل ذلك العبء ؟ ام انه لم يكن جديرا بذلك الخيار ؟ فصلى لله ان يعيد اليه قواه المبدعة حتى يستخدمها في خدمته . لكن هذه القوى لم تعد اليه ، فكان هذا نذيرا بعدم جدارته امام وجه الله .

من التخمينات المعقولة ان غوغول لم يدع دور الرسالة المسيحية الا لان ذلك كان نتيجة لشعور بالاثم عميق دفين. فاذا كان الامر كذلك ، فمحاولته لتحمل اعباء رسالته لم تستجلب له غير الشواهد الجديدة على اثمه وتشديد مخاوفه من العقاب. لقد قرا الرسالة المقدسة قراءة مغلوطة .

كان اعتزازه بنفسه هو الذي حمله على الاعتقاد بان كتابه سيجلب الخلاص لمواطنيه ، وحيث انه وليد الخطيئة فينبغي تحطيمه . وبعد ذلك لم يبق غير الموت ، او بالحري الحياة وهي وحدها التي يسعه تقديمها الان تضحية منه.

اعمال غوغول الادبية – على حسب موضوعاتها – يمكن ان تقسم الى ثلاث مجموعات ذات ثلاث مناطق جغرافية : روسيا الريفية ، اوكرانيا ، بطرسبرغ . تصور « النفوس الميتة » روسيا الريفية ! وقصبة صغيرة هي مشهد « المفتش العام » و « العربة » . وتمثل « تاراس بولبا » المنطقة الاوكرانية وهي من أعظم اعماله طموحا في استنادها الى (مادة) اوكرانية . اما بقية المختارات فهي تعود الى دورة بطرسبرغ . اما موضوعات قصص بطرسبرغ فتعبر عنها احسن التعبير قصة « المعطف » وهي من اسمى انجازات غوغول الادبية .

من الممكن للمرء ان يجادل فيذهب الى ان بطل «المعطف» ما هو الا معطف (كما ان العربة والانف ضروريتان للقصتين اللتين تحملان هذين العنوانين) . الشخص الرئيس في القصة هو انسان مغمور أكاكي اكاكييفتش باشماتشكن . (هذا هو الاسم ولقب الاسرة وبينهما اسم الاب ، على حسب التقاليد الروسية .) اشتغل اكاكي اكاكييفتش سنوات عديدة في دائرة حكومية ببطرسبرغ ، في استنساخ الوثائق الحكومية . (كان هذا العصر عصر الريشة قبل اختراع الطابعة او حتى ورق الكاربون) . استحالت حياة هذا الانسان القميء الاصلع المسن الذي لا يكاد ينطق الى عمل مستمر في استنساخ الرسائل بعناية عظيمة وبعضها التي يحبها في شيء من الانشراح ايضا . كان يذهب الى دائرته صباح كل يوم ويعود متأخرا مساء الى غرفة صغيرة حيث يأكل وينام ويقوم بالمزيد من الاستنساخ . على كل حال ، كان عليه ان يقطع مسافة لا بأس بها مرتين في اليوم الواحد ، وبذلك كان يعرض نفسه لضجيج الشارع المكتظ والاسوأ من ذلك تعريضها للبرد القارس والرياح الهوج والعواصف الثلجية التي تمتاز بها المدينة الشمالية . لا بد للمرء ان يتقي عناصر الطبيعة لكن اكاكي اكاكييفتش لم يكن ليملك وسائل الوقاية الكافية . كان يملك معطفا رثا باليا ، وذات يوم حمله الى الخياط على امل اصلاحه ، فسمع خبرا وقع عليه وقوع حكم الموت ! المعطف لم يعد صالحا للتصليح ولا بد من صنع واحد جديد . وبالحكم الذي اصدره الخياط تبدا آخر فترة من حياة أكاكي ، ومع قصرها فقد كانت مفعمة بالمجد والمأساة . فأولا اصبح المستحيل واقعا : تمكن اكاكي بحرمان نفسه من كل شيء من توفير دراهم كافية لشراء معطف جديد فريد في فن الخياطة (بياقة من احسن فراء القطط يبدو من بعيد كأنه فراء السنار) ومن هنا ، فأكاكي الذي تجاهله زملاؤه ، والذي كان هدف تكتهم العملية ، اكاكي هذا اصبح موضع التهنئة والترحيب من قبل أصحابه الذين ساووه بأنفسهم حين دخوله الدائرة مرتديا المعطف الجديد . وفي المساء نفسه دعي الى حفلة عيد ميلاد اقامها احد رؤسائه حيث احتفل بالمعطف وبصاحبه . وفي طريق عبوره لساحة مهجورة واسعة وهو في سبيله الى البيت قادما من الحفلة هاجمه اللصوص وسلبوه معطفه . لم يحظ اكاكي بأي مساعدة على الرغم من صراخه وارتجافه وحيدا في الليل . وعند بحثه عن حماية لدى « شخصية مهمة » يطرده هذا الرجل المحترم بصوت مرعد للدلالة على الاهمية . ثم يهاجم في الشارع مرة اخرى لكن من قبل عاصفة ثلجية . وهذا العدوان يقضي على اكاكي اكاكييفتش فعلى اثر اصابته بالبرد يموت بعد يومين .

لا تنتهي القصة بوفاة أكاكي لكنها تنتهي على حسب النص (انتهاء خياليا غير متوقع) . فبعد وفاة أكاكي تحدث حوادث سلب كثيرة ليليا في شوارع بطرسبرغ وتنتشر اشاعة بين الناس ان الذي يسلب المعاطف هو روح كاتب مات من قريب . أما امر الشرطة بـ « القبض على الروح حيا ام ميتا » فهو أمر غير ذي جدوى . ثم تنقطع الهجمات الليلية بعد حادثة سلب كان ضحيتها الشخصية المهمة الذي انتزع منه معطفه النفيس . ان الشخصية المهمة يتعرف على اكاكي اكاكييفتش في الرجل الذي هاجمه . وعلى اثر ذلك يحاول احد الشرطة القبض على « الروح » لكنه يكف عن ذلك حين يجابهه « الروح » المديد القامة ، الضخم الشاربين بضربة بجمع يده . على اي حال ، هذه السمات ليست سمات أكاكي لكنها سمات من اعتدى على اكاكي . وهذا التشابه يعيد بكل لباقة (النهاية الخيالية) الى ساحة الواقع .

يمكن للمرء أن يتعرف بكثير من التوكيد المعقول على ثلاثة مصادر لـ « المعطف » استمد منها غوغول خياله المبدع . (سجل الحادثة معاصر له) وهي تتطرق الى كاتب حكومي فقير اشترى بعد اشهر من الحرمان والارهاق بندقية صيد ، فبينما كان يصطاد البط البري في قارب صغير انسلت البندقية من يديه وسقطت في الماء وضاعت. الا ان للقصة نهاية سعيدة فقد قدم زملاء نمرود التعس بندقية جديدة له ، نمرود هذا الذي كان طريح الفراش ، مريضا يعذبه الحزن . هذا موضوع رغبة عارمة وملكية قصيرة الاجل وخسارة . اما حكاية السلب الذي تعرضت له الشخصية المهمة (على يد الروح على ما يظن) فيمكن تتبع آثارها في الوقائع والنكات التي سجلها بوشكين بتاريخ ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٣٣ . « في المدينة لغط عن حادثة غريبة في البنايات العائدة الى دائرة الاصطبلات الملكية هي ان الاثاث اخذ يقفز ويدور حول نفسه ، اخذت السلطات علما بالامر فأصدر الامير ف. دو لفوروكي امرا بالتحقيق في الموضوع . استدعى احد الموظفين قسا لكن الكراسي والمناضد لم تستطع المحافظة على الهدوء اثناء خدمة القداس . كانت التعليقات شتى . قال ن . ان الاثاث يعود الى القصر الملكي ويريد ان ينقلها الى قصر اينتشكوف . لم تكن الشوارع امينة . هوجم سختيلين في ساحة القصر وسلب . طبعا الشرطة لم تكن مهتمة باللصوص والشوارع بل ان السياسة كانت شغلها الشاغل . »

وهذه (الكراسي القافزة) وجدت سبيلها الى قصة « الانف » لغوغول . « كان الناس في ذلك الوقت تحت تأثير الغيبيات . فمن مدة قصيرة أثارت التجارب المغناطيسية جوا عاصفا . وكانت حادثة الكراسي الراقصة في شارع الاصطبلات لا تزال طرية الاثر ، واخذ الناس يعيدون ويكررون عن انف كوفاليف المخمن العقاري الذي يشاهد رائحا غاديا في شارع نيفسكي في الساعة الثالثة بعد الظهر بالضبط . »

اما بخصوص حوادث السطو في الشوارع فان كلا من الضحيتين كان شخصية مهمة ، بل مهمة جدا ، فالاول هو

الجنرال سوختيلين والثاني هو الكونت بلودوف وزير الداخلية بالذات لا غيره . وبما ان حوادث السطو وقعت في شهر كانون الاول (ديسمبر) فمن المحتمل اكبر الاحتمال ان الكونتين سلبا معطفيهما . كان بوشكين ، اعظم شعراء روسيا ، صديقا لال غوغول ، لذا يحتمل انه قص الحكاية على غوغول ، او ان الاخير قد سمع نتفا من مصدر آخر ، اذن ليس المهم معرفة المصدر المباشر .

عنوان « المعطف » في نسخته الاصلية « حكاية عن كاتب يسرق المعاطف » . اما تطور منطق الحبكة القصصية فيبدو كما يلي : كاتب فقير يخسر اثمن ممتلكاته وشخصية مهمة يسلب معطفها ، وللجمع بينهما على صعيد واحد ، يسلب الكاتب الفقير معطف الشخصية المهمة ، الذي (كي نجعل الخسارتين متجانستين) لا يفقد بندقية صيد في البحيرة، بل هو شأنه شأن الشخصية المهمة ، يفقد معطفه . والتجانس ، على المستوى الاخلاقي ، هو انتقام او جزاء . ومثل (العين بالعين) مثل تجانسي ، ولذا ينبغي ان تكون الشخصية المهمة مسئولة عن الكارثة التي أصابت الكاتب . قد لا يكون بالبداهة هو اللص السلاب ، لكنه مسئول بصورة غير مباشرة على الاقل عن وفاة الكاتب الفقير . والكاتب الميت هذا ، طبعا لا يستطيع الانتقام لنفسه الا اذا انحدرت القصة الى ساحة الفنطازيا (الخيال) وهي فنطازية لكنها (في الحقيقة) ليست كذلك . ذلك ان الاشاعة هي مصدرها بالاضافة الى ضمير الشخصية المهمة التي أصابها البلبال. و (الواقع) انه سلب من قبل الشخص نفسه الذي سلب اكاكي . وهنا ينبغي ذكر مصدر آخر محتمل ، وقد ابان هذا المصدر الدارس الهولندي ف.س. دريسن . وهو يتعلق باسطورة القديس اكاكي من قديسي الكنيسة الروسية في القرن السادس عشر . كان القديس اكاكي طالب دين في احد الاديرة ، وقد مات بعد تسع سنين من الاهانة والتحقير على يد استاذه . وقد تقبل تلك الاهانة وذلك التحقير بغير تأفف . اما هذا الاستاذ فلم يحظ بضمير سليم منذ ذلك الحين حتى انه اخذ بفكرة مؤداها ان اكاكي لم يمت حقيقة. وذات يوم ذهب الى ضريحه وسمع صوتا يقول « انا لست ميتا ، لان الانسان الذي يعيش في الطاعة قد لا يموت . » وقصة اكاكي غوغول هي ايضا قصة الاهانة والتواضع . وعلى كل حال ، فان تواضعه لم يكن مطلقا . ذلك بانه ابتاع معطفا جديدا فرضته عليه الظروف كما فرض عليه كل شيء آخر ، (فما يقع في القصة يمسه مسا قريبا) الا انه، حين اضطر الى الاعتراف بحتمية ايجاد معطف جديد شعر برغبة عارمة نحوه . ثم تمتع بتملكه وسر بنصره القصير الاجل ، برفعته (المدوخة) في المكانة الاجتماعية ومساواته بالاخرين . وبهذا الشكل نقض اكاكي اكاكييفتش قانون التواضع حتى ولو بصورة عرضية .

يقول مثل روسي (ان الناس يستقبلونك على حسب ملابسك ، ويستودعونك على قدر نباهتك) . لم يكن اكاكي نبيها قط لكنه ملك ليوم واحد في حياته ، البسة محترمة ولذا استقبل استقبالا لائقا بها . كان المعطف العتيق مهلهلا (يسع المرء ان ينظر من خلاله) واللباس الذي (يستطيع المرء ان ينظر خلاله) و (يرى اللابس نفسه) يعرض الانسان الى السخرية وعناصر الطبيعة . ان الناس سيضحكون عليه وسيرتجف من برد الشتاء . لكن اليس اللباس ضربا من القناع التنكري ؟ اليس من الغش ان تستقبل على حسب ملابسك لا على ما انت عليه حقيقة ؟ لم يكن اكاكي ، في لباسه الجديد ، يملك شيئا من النباهة او الفضيلة اكثر مما كان يملك في لباسه العتيق. لقد استقبله الناس ورحبوا به سيرا على تقليد مضحك . واللباس ، ايا كان تقليد مضحك لكن على المرء ان يرتدي رداء ما . فالانسان يموت اذا هو اختار الا يرتدي لباسا ، ان يكشف على حقيقته ويعرض كما هو .

قد يكون هذا التناقض الاخلاقي الظاهري موجودا في ذهن غوغول وراء ما هو اكثر بداهة (والذي ليس من الضرورة مناقضته) اعني ان اكاكي اكاكييفتش كابد الظلم وقد وجد ، بعد موته على الاقل ، شيئا من رفع الحيف ، عندما اصبحت الشخصية المهمة بدورها ضحية لعملية سطو في الشارع .

ان ثمة طرقا كثيرة توصل « المعطف » بقصص غوغول الاخرى . ولنضرب لذلك « العربة » مثلا فالطريق الموصلة اليها تتبدى في الدوار الذي يصيب بطل القصة منذ البداية حين يمتزج الملاك تشيرتوكوتسكي بالضباط الخيالة السكارى المقامرين المتباهين الزاهين في حفلة الجنرال . وبعد خروج السادة من القصر اثر مأدبة العشاء الفاخرة يستجلب الجنرال فرسه الكميت ويعرضها امام عيونهم المعجبة ، لكن الملاك تشيرتوكوتسكي يخبر الجنرال بامتلاكه لعربة هي طرفة من طرف فيينا تعدل في قيمتها اربعة الاف روبل . ثم يعقب ذلك بان يدعو الجماعة كلهم الى مقاطعته في اليوم التالي ليتناولوا عشاء مبكرا وليتفحصوا العربة . وعلى كل حال ، هذه كانت بداية سقوطه . صاحب العربة ينسى ان يذكر لزوجته الدعوة الى الوليمة حينما يصل الى بيته فجرا . ثم لا يلبث ان يستيقظ عند وصول جماعة العسكريين فيصاب بالهلع وينتزع منامته ويفر الى الاسطبل وهناك يختبىء في العربة . كان المخبأ غير صالح في الواقع ، وسواء وجد العشاء ام لم يوجد فان الجنرال وحاشيته المحترمين قرروا فحص العربة ومن ثم اكتشف صاحبها في ملابس النوم تحت مشمع العربة . وهكذا تعرى السيد تشيرتوكوتسكي امام اعين الجماعة ، باختفائه داخل شيء بنى عليه خيال عظمته . تمثال عار يصاب بالخجل فيختبىء في ركيزته . ففي داخل رمز المجد المنهار كان الانسان نفسه مختفيا بعد الزراية به وبعد عريه الذي لا يدفع عنه شرا . ان المادة المكنوزة لا تضيع في هذه

القصة لكنها تفقدسطوتها وفائدتها ، انها تصبح عربة (اعتيادية) اراد السيد تشيرتوكوتسكي ان يباري بها نرس الجنرال الكميت ذات البوز الناري .

اما قصة « الانف » فهي حكاية خسارة واستعادة . خسر احدهم انفه ثم استعاده صاحبه الشرعي . انفصل هذا الانف من صاحبه واتخذ دور بيروقراطي رفيع الشأن ثم اعيد الى مكانه الطبيعي في وجه احد المرؤوسين ، على اهميته . لقد عثر على العديد من المصادر الادبية لقصة غوغول الا ان هذه المصادر لا تقلل في شيء من اصالتها . ان الانف هو رمز الذكورة (وفقدانه يوحي بالاخصاء وهو حافز طالما تردد في كتابات غوغول) ...

غير ان الرداء ، اي رداء ، هو الحافز بوصفه رمزا للمكانة الاجتماعية في « مذكرات مجنون » وهي سجل غزو جنون تدريجي يتعرض له كاتب (المذكرات) وهذا الجنون الذي هو — في الواقع جنون العظمة يصيب هذا الكاتب الفقير الذي يشتغل في وظيفة حكومية يكتشف انه ليس الا فرديناند الثامن ملك اسبانيا . ثم يظل ردحا من الزمن مغمورا غير معروف ، ثم يقرر ان الوقت قد حان لاظهار حقيقة شخصيته فيقول متاملا « آه لو كنت متمكنا من الحصول على رداء ملكي من اي نوع كان . ارى من السخافة ، ان يصنع الخياطون واحدا من هذه الاردية . لذا قررت ان اصنع لي رداء من احسن معطف املكه وهو الذي لم البسه الا مرتين ... فضلت ان اصنع ذلك الرداء بنفسي . فأغلقت بابي كيلا ارى ، قطعت معطفي بالمقص شرائط كثيرة ، ذلك بان الرداء ينبغي ان يكون من طراز مختلف تماما » . وما ان رأته الخادمة مارفا اول مرة بـ (ردائه الملكي (حتى) اطلقت صرخة مدوية .)

لقد كان معطف اكاكي علامة الاحترام المطلوبة من قبل المجتمع ، وحالما اصبحت هذه العلامة جاهزة ، اعترف المجتمع بصاحب هذا المعطف وارجع له كرامته الانسانية (لكنه خسر هذه الكرامة بفقدانه للمعطف) اما كاتب المذكرات فقد تجاوزت (انانيته) حدود المعقول ولذا نراه يعجز عن الوصول الى ما كان يصبو اليه فالقصر الاسباني الذي يعتقد بوجوده فيه يتحول الى مستشفى للمجاذيب.

ان للمكانة الاجتماعية موضوعات مختلفة لاختلاف مستويات الواقع ، من ارتفاع وهبوط ، وهذا ما نجده في كوميديا غوغول المشهورة « المفتش العام » وفي قصته « النفوس الميتة » ففي الاولى يجنح موظف بسيط الى قصبة صغيرة وهو في طريقه من بطرسبرغ الى موطنه ، فيحسبه الموظفون الفاسدون مفتشا عاما متنكرا بزي آخر وهكذا يجد نفسه في وضعية تنهار فيها الحواجز جميعا ، فيستطيع ان يطلق كل خيالات العظمة من عقالها ، هذه الخيالات التي يؤمن بها البيروقراطيون المرعوبون... ثم يكتشف امره بعد ان يكون قد ملأ القلوب رعبا ، وبعد أن يفر في وقت مناسب ، وهذه هي العودة مرة اخرى الى الواقع ، الى حيث لا مكانة له ولا هوية .

اما تشيتشيكوف ، بطل « النفوس الميتة » فهو نصاب غشاش والظروف التي اعتقد فيها الناس انه شخصية مهمة ظروف ليست عرضية انما هي من صنعه نفسه . ومع أن امره يكتشف ايضا غير ان الناس لا يقتنعون بهذا الاكتشاف .. يصبح تشيتشيكوف افاقا رومانسيا مخطرا حتى يظن انه نابليون بونابارت الفار من جزيرة القديسة هيلينا . وخيال العظمة هذا اصطنعه تشيتشيكوف بذاته وهو ما استمر متوسعا في ذهن المجتمع اجمالا .

وبعد ، ناتي الى « تاراس بولبا » وهي الملحمة الاوكرانية التي تختلف كل الاختلاف عن قصص بطرسبرغ في موضوعاتها وميولها . المكان هو موطن غوغول ، اوكرانيا ! الزمان هو الماضي السحيق حين هب الشعب الاوكراني مناضلا ضد مضطهديه البولنديين . تمتاز الشخوص بالحيوية كما تمتاز السنتهم بالوانها الزاهية وكذلك كلامهم . انهم شجعان غير هيابين ولا وجلين وهم كرماء عنيفون بدائيون يتمثل الشعر بهم . لهم عوائل وهم يحبون النساء غير انهم اشداء غير مترددين حين تحين الساعة لفراق نسائهم وركوب ظهور الخيل والجنوح الى الحرب والقتال .. اما تاراس العجوز فأشجعهم وهو القائد المحبوب والمحترم من قبل رجاله . كان ابناه جديرين به ، وهكذا اعتقد الناس . لكن احدهم يقع في شباك حب فتاة من بولندا ويقترف اثم الخيانة . ثم تسير القصة مدفوعة بتناقضات العاطفة العارمة ، خلال مشاهد من الحب الرومانسي والمعارك العنيفة والخيانة والعقاب والبطولة والمغامرة وتنتهي بوفاة المحارب العجوز وتأليهه .

ان « تاراس بولبا » ملحمة تؤرخ عهدا رومانسيا وهي تماثل قصص سير ولتر سكوت ، وبطريقة ما قصص جيمس فينيمور كوبر ، الكاتب الذي اعجب به غوغول والكثير من اجيال الكتاب الروس . ان القصة عمل روائي تاريخي وقد حاول فيها غوغول ان يعيد خلق فترة عوضا عن أن يقدم شخوصا او وقائع تاريخية . اما تاراس وابناه فعمل من صنع الخيال . ومع ذلك تذكر بعض الشخوص الواقعية القليلة واهمها القائد القوزاقي اوستراتيتزه وتحت امرته قاد تاراس احدى الكتائب . تواريخ غوغول في القصة مبهمة لكن حملة الجنود القوزاقيين بقيادة اوستراتيتزه ضد البولنديين جرت سنة ١٦٤٧ . وقد بدات هذه الحملة بانتصار مدو احرزته القوات القوزاقية واستمرت بسلسلة من الاندحارات التي كان منها فرار اوستراتيتزه الى الشرق ، الى منطقة واقعة تحت حماية موسكو .

يبدو ان لغوغول اهتماما خاصا باوسترنيتزه هذا ولعل ذلك يعود الى الواقعة التي انتصر فيها على البولنديين

الظل وحارس المقبرة

(الاقواس الكبيرة حديث حارس المقبرة ، والصغيـرة حديـث الظـل)

(قطار الثواني بشوق يشد الهزيع الاخير
لقد مر .. ما من جنازه ..!!
سأغفو ـ وما هم ـ من مات .. مات .)
ويغرق في بركة الصمت بوح الاغاني الهزيله .
ويذوي .. يموت الصدى .
« ترى نمت يا فارس الليل ، يا حارس المقبره ؟!
ترى نمـت يا ...؟ »
وغرغر صوت الضجيع العجوز كشاة ذبيحه .
« لقد نام حتـى الخلاص ،
وعشعش فيـه الكرى . »
مزاليج خشخاشة صدئت من غبار السنين
تصرصر .. يفتح باب عريض الجناح .
« رويدك يا كف .. يا صوت كفن قرار التراب ،
وبلل بدمعك اسنانك الظامئات ،
تلمس بقربك شيئا طريا .. بقايا جديله ،
لآخر جمجمة امس جاءت هنا ... »
يغرغر صوت العجوز ونيسان سقف غيوم جميله ،
« ترى يا صرير المزاليج ايقظته ؟!
تلمس طريقك هيا ..
نجوم لياليك ما غبشت بعد .. هيا . »

*

غريب تغطي عيون السما راحتاه ،
على دربه خيط نور شد حداة القوافل ،
يمسح افقا ، يلملم من امس تاهوا ..
ويورق وردا وكماى ، ودردارة طيبه ،
يحدق في الحارس الخـوف
يدعو له ان يظل عشيق النعاس :
« نمط .. ادر ظهرك الرخو للعابرين ..
ادر يا بليـد الحواس
ايـا متعب الروح يا فارس المقبره
ففي صلب ارضي حقول خزامى وآس . »

*

ويخطو على حائط المقبره :
« ترى نمت يا ...؟!
وداعا صديق الليالي العتـاق
وداعا ايا بوم يا عاشق الثرثرات . »
وقهقه ـ يختال وحيا ـ هلال البشاره
فتنجهم الخـراب ،
تلاشى صدى ... يا خساره ..!!
وسحت دموع المطـر ،
فازهر جرجيرنا في السـواقي
وحتى عيون الصبايا .. صبايا المدينه
فما عادت الريح بنت المدار ،
تحوم على الصفح .. تمضي .. تذر الغبار ،
وتزرع في رحم الارض ملحا ونار ..

*

آفاق الصباح الجديد وارخى على الكون ظله ..
وحارس جبانة الحي ما فتحت مقلتاه ،
لماذا ؟.. لماذا ..؟

سورية — فايز خضور

جرت على مشارف فاسيليفكا وهي مقاطعة الاسرة ، حيث قضى فيها غوغول بواكير سني حياته ...

ملاحظة اخيرة لا بد من الالتفات اليها ، يقع احـد الاخوين بولبا في غرام فتاة بولندية فيخون شعبـه ورجولته التي هي الفضيلة السامية لدى كل محارب ، ولذا يقضى عليه القضاء المبرم . ومن هنا ، فالحب في عمل غوغول ، لا يمثل الا خطرا يهدد كيان الانسان نفسه الا اذا سخر منه وحط من قدره في اوصاف السعـادة الزوجية التي تخص هذا المخلوق الغريب الذي هـو الانسان الاعتيادي . وهكذا فان الحب كان غريبا لـدى غوغول نفسه ، سواء أكان مأساويا مدمرا أم هزليا مضحكا، ذلك بانه لم يملك تجربة من تجارب الحياة الجنسية .

بغداد — يوسف عبد المسيح ثروة

اعياد البؤساء

بقلم عدنان المنيعي

قصة

وبدات خيوط الفجر تتسلل بدعة وهدوء ولم يستشعرها غير الديكة المنتصبة فوق الاكواخ القديمة الغاطة في نومها حيث علا صياحها مرحبة بالغبشة الجديدة . وما على الشمس لتطلع فوق هامات النخيل الا محاولات من الجهد يسيرة تغلف بعدها الكون بالوان فضية وهي تصعد في رحلتها السرمدية عبر السماء . وغطى على صيحات الديكة اعوالات من الكلاب ملأت الفضاء حشرجتها وهي تهز الذيل طروبة تنهب الارض ركضاتها جيئة وذهوبا .

بدات الحركة تتململ صاحب الكوخ الملقى بعيدا على الرابية وغالبت اجفانه بقايا من النوم لا زالت عالقة عليها حين افرجها لتبصر النور غامرا بقاع الارض . وعلى اسعالات الرجل المزكومة المتلاحقة بدات الحياة تدب فيمن هو مسجى على مقربة منه . وما هي الا هنيهات من الزمن حتى انتشر من في الكوخ .. زوجة واربعة اطفال . انهى الرجل فطوره الفقير وانتحى جانبا من الكوخ ليكمل حياكة ما بدأ به من عمل اليوم الفائت . واذ ما اخذت اصابعه مواضعها الرتيبة راح في دوامة من الافكار تعتصره وهواجس تدوخه وتقض مضجعه . لم يبق العيد ان يحل غير اسابيع من الزمن ما اقصرها ليأتي بتبعاته التي ينوء تحت عبئها كاهله . ان مكسبه لغير كاف أن يعيله وعائلته . تراه في الكوخ قابعا نهاره وما يتسير له من ليله يكدح ويثابر ، يستنزف الطاقة البشرية ويصارع العوز حتى تذبل الشمعة وتخور قواه عن حمل راسه فيستسلم لنوم عميق . فكيف اذن بحوله تدبير الامر واطفاله قد حال على ثيابهم الدهر فرثت ولم تعد بذات نفع . واولاد الجيران ، ماذا سيقدم لهم حين يقبلون عليه صباحا وفي عيونهم من التوقع الشيء الكثير. لم يجد صاحبنا بدأ من التعويض عن ذلك بساعات اخرى من العمل المضني وكيف له الخيار وهو في بيئة لها من التقاليد ما لهذه التي هو عائش فيها .

بدات زوجه تلحظ هذا التغير المفاجيء في سلوك زوجها ازاء عمله فهو يستيقظ باكرا قبل موعده بوقت ليس بالقصير ليبدا العمل ولا يكف حتى ساعات متأخرة من جوف الليل حيث تعم هداة السكون فلا يسمع الا وشوشات سعف النخيل اذ تلاعبها الريح واعواد القصب على مقربة منه وهي تتلوى متكسرة تلتهمها نار اوقدها لشاي يكرعه بين الفينة والفينة ليطيل من امد صحوته .

كانت زوجه شديدة الرغبة لتحدثه في هذا الامر وتلفت نظره الى صحته التي اخذت تسوء بشكل ملحوظ . وذات مرة فيما كانت جالسة قبالته رات الفرصة لها ان تفاتحه الحديث فبادرته بكلمات متعثرة : ابو علي .. اود ان اقول. وهنا رفع بصره المرهق اليها وخصلات من شعره الكث تتدلى على جبينه وهي تهتز بسرعة مع اهتزاز راسه الذي كان يساير حركات يديه وهي تؤدي عملها . وارتسمت على شفتيه ابتسامة خافتة متعبة شدت فمه الى جانبه الايمن . وادرك من قسمات وجه زوجه ما تريد قوله فتمتم وهو يحدق في وجهها : لا احتمل رؤية اولادي عرايا ايام العيد. قالت وهي مشدوهة وقد احست السبيل ينقطع امامها : عرايا ؟

مرت الايام تباعا وابو علي لا ينفك مثابرا في ذلك الكوخ المنسي مواصلا نهاره من العمل مع اكثر ليله . بدا الضجر يحوم حوله وعافت نفسه ما هو فيه ، ملأ الحنق صدره واشتعلت فيه الضغينة . ماذا ان هو اغلق باب الكوخ ليحول بينه وبين ما يسمونه بالعيد ؟ ماذا ان ترك اطفاله بالعتيق مما يلبسون ؟ وراح يجيل الطرف في انحاء الكوخ وهو يراه يضيق به ويضيق حتى لكأنه يأخذ بخناقه . تشنجت يداه وحدقت عيناه بخيوط النور البيضاء المنسلة عبر ثقوب حصير الكوخ . عدل من جلسته ومد في رقبته ليعب من الهواء ما يعيد اليه حيويته . تأوه مرة اخرى . ولكن لم كل هذا الشقاء ؟ ماذا لو ترك اطفاله بالرث من الثياب ليكونوا رمزا لواقع مرير لا خيار له فيه وفقر لا حول له بدفعه ؟ ماذا لو لاكته السن الناس ؟

وبحركة انفعالية سحب سيكارة واشعلها من موقد النار ثم دسها بين شفتيه المتصلبتين ومج منها مجتين ثم نفث الدخان في الهواء فراح يسبح بحلقات في سماء الكوخ وصاحبنا ينظر اليها وهي تبتعد عنه رويدا رويدا حتى سرح معها خياله بعيدا حيث ايام الطفولة . ايام كان يعد الايام قبل العيد عدا حتى اذا ما قرب يومه يعد الساعات ولا ينام الا ومعه ما اعد ليوم العيد بعد ان يقضي نهاره بالبشر مع صحبه من الاطفال يحلمون بسعادة الايام القابلة وحلاوتها . لذعت حرارة السيكارة التي لم يبق منها غير عقب قصير انامله فرماها عنه بعد ان عمرت نفسه ببعض الطمأنينة وعاود عمله باكثر جدية واعظم نشاط. انصرمت الايام واحس بانه قد وفر ما يمكنه كساء عائلته . كف عن العمل ونفض عنه غبار الايام الحالكة ونهض يسر زوجه عزمه الذهاب الى السوق ليبتاع ما تحتاجه هي والاطفال . تراقصت اسارير الزوجة وطفح وجهها بشرا وهي تكاد لا تستقر مكانها فاسرعت تسمع اطفالها النبأ السار .

الشاعر

قال : ارجو ، وراح في الصمت يضنيه　　سؤال ، ويعتريه سعال
كلما ضمه مع النجم ليل　　هيجت روحه الظنون الثقال
ثم مد اليد التي صاغها من　　قلبه الراعش الخفوق الخيال
قطعة تبدع الحياة من الحرف　　فتحيا بوهمه الاجيال
يمسح الشهد عن بقايا جفون　　خلفتها له الليالي الطوال
كيف يرجو ؟ وما ترى ذاك يرجو ؟　　كل دنياه لهفة .. وانفعال
عمره لعنة الهوى ، كلما آب　　الى الليل آب منه الخبال

ايها الشاعر المهوم في الافق　　تمهل ، فانت في الافق مفرد
عالم الناس ابدعته ليالي　　سهدك المر ثم شاؤوك مسهد
لفه السهد في بقايا امان　　ضيعتها الحياة شيئا فشيئا
فانثنى يعصر الاسى كاس راح　　تبعث الانس في دياجيه حيا
ليته ، ليته درى امس ان العمر　　يومان يمعنان مضييا
كلما تاه في مطاوي الزمان　　الجهم يوم طوته ذكراه طيا
لهفة العمر لفتة الكون للامس وشهد الدجى اذا قال اعيا
المنى ، ما المنى وذكراه تحيي　　لهفة الكون للمنى حين تحيا
يقطع العمر يرتجي في اساه　　المر من كاس عمره المر ريا

لامك الناس أن تنكبت عما　　يالف الناس من طريق ممهد
قيل جنب به الرؤى ، كدت لو يدرون مانى طريقك الوعر تعبد

هد ّه الياس ، كلما قال ارجو　　رده قبل ان يتم القضاء
فانثنى يعلك الدخان فتبني　　في سحاباته الرؤى ما تشاء
باعه الليل نفضة الحس وابتاعت　　له خفقة الشقاء السماء
واحتواه الوجود تسبيحة العمر　　الى الله ان يدوم الصفاء
المنى صفقة الوجود الى النفس　　اذ تاه فيه منها النداء
لم يعد في وجوده غير دنيا　　ظنه هاجها الرؤى والعياء
كاد لولا بقية الكاس يقضي　　حسرة قبل ان يموت الرجاء

حمص　　**بسام جندلي**

وهكذا غادر ابو علي كوخه واطفاله الاربعة يودعونه غناء ورقصا . وراح الاب في السوق يدقق النظر في معروضاتها حتى وقع بصره على قماش زاهي اللون اختار ان يكون مشترى له . وبعد ان انتهى من كل شيء دس يده في جيبه ليخرج المبلغ اللازم الا ان يده لم تصل قعر جيبه بل امتدت لتخرج من الجهة الاخرى . سحب يده ليمدها مرة ثانية وهو غير موقن بما حصل فنزلت لسبيلها . امسك بطرف سترته وحدج فيها فهاله ما راى . لم يصدق عينيه وهو يجد شقا مستقيما اسفل جيبه ويمتد بطوله بحيث يتعذر على الفلس ان يستقر دون ان يسقط . اغمض عينيه نصف اغماضة وهو يحاول ان يفهم اي شيء . أسرع يدس يديه في جيوبه الاخرى نابشا زواياها علـه وضع النقود فيها . سحب يده ببطء شديد وتسمرت قدماه في الارض وهو ينظر امامه فلا يرى . انحسر الدم عن وجهه فاصفر وغاصت خداه وجحظت عيناه وبدأت شفتاه ترتعشان . ثم اطبق جفنيه وزم شفتيه وكأنه بدأ يشمئز من رؤية الناس ، الناس الذين سلبوه ثمرة كفاحه المضني وخلاصة اتعابه . رفع بصره الى اعلى وادار ظهره لصاحب الدكان الذي لم يزل مادا ذراعه بالقماش وسار بخطى مريضة واهنة حتى اختفى بين الجموع .

اندیانا ــ امریکا　　**عدنان المنيعي**

مكتبة الاديب



دراسات ادبية

تأليف يوسف الشاروني ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

الكتاب الذي نعرض له الآن يجمع بين دفتيه مجموعة مقالات مختلفة موضوعاتها اقتطفها الاستاذ صاحب الكتاب من شجرة المعرفة التي نماها بقراءاته على مدى السنين لم يتوخ فيها وحدة الموضوع الواجب توافرها في الكتاب ...

ولعله لم يهتم بهذه النقطة باعتبار الكتاب دراسات ادبية ولكن هذا لا يجعلني اغتفر هذه الهفوة ... والذي يجعلني ادقق في وحدة الموضوع ، ووجوب وجود خط طولي ينظم افكار الكتاب هو ان معظم الكتاب ينتهجون هذا المنهج لانه ايسر السبل الى اخراج الكتاب دون عناء.

والاستاذ الشاروني يناقش في مقالته الاولى الوسائل التي يتخلص بها البطل من المآزق التي يقع فيها ، مقدما نماذج من القصص الشعبية والملاحم كالاوديسا وعلي زيبق وهو يرى « ان حسن التخلص وقوة الارادة وتصميم البطل على مواصلة رحلته هي الوسائل الانسانية البطولية التي بها يتخلص من مثل هذه المآزق » .

ثم يقارن بعد ذلك بين البطل القديم والبطل الحديث الذي فقد الوسيلة التي كان يعتمد عليها البطل القديم وهي العقل والايمان والمحبة والصدقة لان في هذا العصر اختفت القوى الخارقة وحل التسلح محل القوة الجسدية ولم تعد هناك كهوف بل توجد تعقيدات روتينية .

وفي المقال الثاني يناقش غواية المرأة للرجل ومحاولته هدايتها متتبعا صور هذه الغواية منذ اغوت حواء آدم واخرجته من الجنة حتى العصر الحديث مستدلا على ذلك بعديد من القصص مثل بجماليون لبرنارد شو وجسر الشيطان لعبد الحميد جودة السحار وبجماليون والرباط المقدس لتوفيق الحكيم .

ولقد حلل هذه الاعمال وقارن بينها .. وفي صفحات اخرى يفرق بين الملهاة والمأساة عند ارسطو وبرجسون ...

ولقد اكتفى في بعض الصفحات بعرض كتاب « ما الفن » لتولستوي ، ثم نجده يقدم دراسة مستفيضة من خلال تجاربه ككاتب قصة يمارس عملية الخلق الفني عن سيكلوجية التعمير الفني مفرقا بين لحظة الانفعال وحال الانفعال . ويرى ان العمل الفني الجيد هو ذلك العمل المقرون بالانفعال لان الكاتب في لحظة الخلق الفني يذوب شعوره اي كل تأثراته الفنية في اللاشعور لان « هذا الذوبان اذا بين الشعور واللاشعور في عملية التعبير الفني يوحد بين مستويات الادراك الانساني ، مستوى الادراك الحسي ومستوى الادراك الوجداني ومستوى الادراك الفكري » .

كل هذه الموضوعات السابقة تستهلك نصف الكتاب ، اما النصف الثاني فقد افرده لقضية الفصحى والعامية عارضا آراء الفريقين فقط دون تعليق ..

وبعد هذا العرض الموجز اريد ان اناقش الاستاذ الشاروني في بعض النقاط التي اختلف معه فيها معه وهي :

اولا : قوله ان البطل الحديث عدم الوسيلة لبتخلص مما يواجهه من مشاكل ... ثانيا : قضية العامية في الحوار ... ثالثا : قضية الازدواج في اللغة وتقريره ان العامية كانت احدى لهجات العرب .

اما النقطة الاولى فلقد اقتصر في حديثه عن بطل القصة الشعبية والملحمة فقط ثم نجده يصدر حكما عاما وهو ذلك الذي ذكرناه آنفا ليشمل الاعمال الادبية على اختلاف انواعها .. وكان يجب ان يراعي الدقة عند اصداره الحكم وذلك لان لكل نوع من الاعمال الادبية قواعد خاصة به وخصائص فنية معينة .. وشيء آخر ، من المعروف ان المجتمعات في تطور مستمر وتتطور تبعا لذلك وسائل الحياة فيها وبالتالي يتطور التفكير الانساني ، فالمجتمعات القديمة تختلف اختلافا تاما عن المجتمعات الحديثة من ناحية وسائل المعيشة والظروف التي تحيط بالانسان وتؤثر على تكوينه الجسماني وكذلك تختلف في مستوى الادراك العقلي .. فانسان هذا العصر يمتلك من القدرات والامكانيات ما لم يتوفر لاخيه الانسان قديما الشيء الذي يجعله يمزق ستائر الخرافات والاوهام ويتخلص من التحليق في الافاق البعيدة على بساط سحري او على كف عفريت ، لقد اصبح الانسان في عصر الآلة هذا مؤمنا بنفسه لانه سيطر على معظم قوى الطبيعة واخضعها لارادته فبديهي ان يتحلل من اية قوة تساعده على حل مشاكله معتمدا في ذلك على عقله فقط فهو المنار الذي يهديه ولذلك نرى ان معظم الاعمال الادبية في الغرب تمجد هذا الانسان دون تعقيدات روتينية .

اما كتابة السرد باللغة العربية والحوار باللغة العامية في القصة لضرورة تحتمها الواقعية لان اللغة تعبر عن شخصية صاحبها باعتبارها احدى التصرفات التي تساعد على تحديد ابعاد الشخصية .

اما عن اقتران اللغة العامية بالواقعية فلي سؤال : هل الواقعية واقعية المضمون ام واقعية الشكل ؟

ان الواقعية هي واقعية المضمون اما اللغة ما هي الا وعاء يصب فيه الافكار والادب ككل عمل فني جميل يجب ان تكون اداته من السلامة والفنية ما يوفر له المستوى الجمالي الرائع ، اذ لا يصح ان نضع طعاما في وعاء غير نظيف بالطبع تعافه النفس فهذا ما ينفر منه الذوق السليم ، اما ان اللغة تحدد ابعاد الشخصية فان هذه الابعاد يمكن التعرف عليها عن طريق عناصرها الخلقية والسلوكية التي يكشف عنها الاديب خلال العمل الفني .

اما القضية الاخيرة وهي قضية الازدواج فهو يرى ان العلاقة بين العامية والفصحى علاقة اخوة اكثر مما هي علاقة امومة فيقول « لهذا فليست لهجاتنا العامية الحاضرة وليدة فساد طرأ على اللغة الفصحى كما قد يتبادر الى الذهن بل هي تطور للهجات عربية اخرى كانت موجودة جنبا الى جنب مع اللهجة التي قدر لها ان تصبح الفصحى فيما بعد.. فعلاقة الفصحى بالعامية علاقة اخوة اكثر مما هي علاقة امومة » .

واعتقد ان هذا ليس صحيحا وذلك لان العرب في جاهليتهم كانوا يتحدثون اللغة الفصحى بالسليقة ، وبسهولة ويسر دون معاناة او ثقل ولقد وضح ذلك الجاحظ في كتاب البيان والتبيين قائلا « كل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكانه الهام وليست هناك معاناة ولا مكايدة ولا احالة فكرة ولا استعانة ، انما هو ان يصرف وهمه الى الكلام والى رجز يوم الخصام او حين ان يمتح على رأس بئر او يحدو ببعير او عند المقارعة والمناقلة او عند صراع او في حرب ، فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه احدا من ولده . وكانوا اميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم اظهر واكثر وهم عليه اقدر واقهر » . فالناس يرتجلون الشعر ارتجالا ويتحدثون العربية الفصحى دون تعليم يصدق انه

كانت لهم لهجة عامية ، هذا امر ليس من السهل التسليم به ، اما العامية فلم تنشأ الا نتيجة لظهور اللحن بين العرب نتيجة لاختلاطهم بغيرهم من الالسن الاعجمية بعد ظهور الاسلام ثم اخذت هذه الظاهرة تنمو حتى فشت وتمكنت بين اللسان العربي .. وتدليلا على قولي هذا اسوق ما قاله الاستاذ مصطفى صادق الرافعي في « تاريخ آداب العرب» في معرض حديثه عن نشأة العامية :

« قد علمت كيف بدأت العامية ؛ وكيف خرجت من اللحن ، وان ذلك لم يكن الا في أوائل الاسلام ، فلا عبرة بما يهجس به بعض اولئك الذين نراهم في مجازفتهم وتخرصهم كأنما يشرحون للناس علم الغيب ، فيزعمون ان العامية كانت لغة بعض العرب في الجاهلية الاولى وان القوم كان لهم فصيح وعامي » واستاذ آخر هو الدكتور حسن عون يؤكد في كتابه « اللغة والنحو » ان العرب لم يكن لهم عامي وان كان يختلف مع الاستاذ الرافعي بأن اللحن كان ينطق به العرب المقيمون في اطراف البادية نتيجة لقربهم من حدود الاعاجم .

واخيرا بقي مأخذ نأخذه عليه في منهجه الذي اتبعه في عرضه لتلك القضية ، ذلك المنهج الذي أبان عنه في نهاية الكتاب مصحوبا باعتذار للقارىء :

« واني لاعتذر لاني حاولت ان اقف بقدر الامكان موقفا موضوعيا وان اوضح آراء الاطراف المتنازعة ، او ما يمكن ان تكون اراؤهم فانني اعرف انني بذلك لم ارض لدى القارىء هذه الحساسية المانوية .. على حد تعبير البير كامي ، التي تقسم كل شيء الى خير وشر ومنتصر ومنهزم فلا بد من الانتصار لفريق دون آخر ، فيصادقني القارىء او يعاديني وهو احساس يرضيه في كلتا الحالتين، ولكني ضحيت بارضاء رغبته لاني وجدت ان القضية ليست من اليسر بحيث ينقسم المتنازعون فيها الى فريق منتصر وآخر منهزم » .

وكان حريا به ان يذكر رأيه بدلا من التزامه الموضوعية والحياد مضحيا بقارئه .. ذلك القارىء الذي اصبح لا يستسيغ مثل هذا العرض الذي يلتزم بحشد مجموعة من الآراء فقط .. ومن المعروف ان هذه القضية كتب عنها الكثير .

ان القارىء في هذا الجزء من الكتاب يجوس خلاله ليبحث عن بصمات المؤلف وشخصيته .. ولقد كنت انتظر من الاستاذ الشاروني ان يجتهد في ابداء رأيه مستعينا بتجاربه ككاتب قصة ويكون باجتهاده هذا قد أضاف لبنة جديدة في بناء صرحنا الادبي .

القاهرة — ابراهيم عيسوي سعفان

●

١ ـ مخائيل نعيمة : الاديب الصوفي

تأليف ثريا ملحس ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار صادر ، دار بيروت ـ مطابع دار صادر ودار بيروت ببيروت

٢ ـ القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه

تأليف ثريا عبد الفتاح ملحس ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

في اعقاب عام ١٩٦٤ زودت الكاتبة المبدعة الاستاذة ثريا ملحس خزانة الادب العربي بالاثرين النفيسين المذكورين في مستهل هذه العجالة ، وتنويها بالجهد الذي بذلته الاستاذة ملحس في تصنيف هذين الاثرين نرسل في كليهما كلمة حق وانصاف وحياد .

أ ـ مخائيل نعيمة : الاديب الصوفي

كل من قرأ ـ مخائيل نعيمة ـ في سائر الكتب التي تناولت سيرة حياته وادبه ، مدبجة باقلام متباينة الاهواء ، مختلفة النزعات ، عرفه

من جانب وخفي عليه من جوانب اخرى ابرزها ادبه الصوفي .

والقارىء العربي المعني بادب المهجر عاش دهره مؤثرا فئة على فئة بداعي ان في عداد اولئك الرواد فرسانا حلقوا في لون معين من الوان ادب المهجر ندّ عنه الاخرون .

وظلت الناحية الصوفية في ادب ـ نعيمة ـ بلا دراسة عميقة الى ان هبت الاديبة الكبيرة الاستاذة ثريا ملحس الى التخطيط لدراسة شاملة مركزة ، فسلطت اضواءها على ـ نعيمة ـ وجلت الجانب الصوفي من ادبه بدراسة ذاتية مشرقة اتسمت باسلوب رصين وبعرض مشوق ، فاذا بالقارىء الذي عرف نعيمة انسانا شاعرا وفيلسوفا متاملا ، يجد فيه بعد قراءة هذه الدراسة الماتعة اديبا صوفيا ، فيقبل عليه بشغف ولذة ، ويلج هيكله ، ويمجد فيه شطحات الصوفيين واخلاقهم ونزوعهم الى عالم علوي !

والقارىء العربي الذي لم يحظ بعد بتلك الدراسة الماتعة سيظل في منأى عن ناسك الشخروب واسراره واطواره الى ان يستمتع بهذا الكتاب فيطل على جوانب علوية من جوانب الفيلسوف المتامل الذي يفيض ادبه اشراقا ونورا ، ويضوع قلمه مسكا وبخورا .

ب ـ القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه

تعتبر الاستاذة ثريا ملحس الشعر فضيلة تتغنى بالقيم الروحية المطلقة، وفكرا وتجربة انسانيين ، وهذا الاعتبار ولد فيها رغبة البحث عن القيم الروحية في تراثنا الشعري القديم ، والاستقصاء عن تلك القيم في تراثنا الشعري الحديث منذ العصر الجاهلي الى عام ١٩٥٠ ، وسلخت في التنقيب عن تلك القيم الروحية عامين متتالين قرأت خلالهما شوامخ الدواوين الشعرية تالدا وطريفا ، وتوفرت على مطالعة العشرات من مجموعات مجلاتنا الادبية الشهيرة ، واحاطت بالفكر العربي القديم ، لتدرك مدى ماهيته وتأثيره في الشعر العربي القديم ، محاولة بذلك فتح باب جديد في دراسة ادبنا المعاصر !

وقدمت ثريا لموضوعها الطريف فصلا صورت فيه الصراع بين المادة والروح في الفكر الانساني ، منذ كان ذلك الفكر حتى عصرنا الحاضر ، واشارت الى تأثير الفلسفات والتيارات الاجنبية في تقدير الادب وفهمه ، وحاولت ، وهي المسلحة بثقافة ممرعة ، ان تصور علاقة الادب بالفلسفة والعلم والدين ، وتظهر قيمة الادب من حيث هدفه الروحي والانساني !

ان موسوعة « القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه » هي اول لبنة في واجهة هذا المبحث النفيس ، وهو الاول من نوعه في ادبنا المعاصر ، ولقد حلقت فيه الاستاذة ثريا تحليقا قصر عنه الكثيرون من حملة الاقلام في البسيط العربي ، وجلت القيم الروحية والانسانية في شعرنا العربي على اختلاف عصوره ، وبهذا قدمت لادبنا المعاصر خدمة يذكرها الباحث المنصف بمداد الشكر ، وفتحت امام هواة الادب آفاقا فسيحة من التاملات النفسية ، والوجدانيات الصوفية ، وقدمت لهم باقات زاهية من الشعر الوجداني والفلسفي ودللت على ان في شعرنا العربي تالدا وطريفا ، قيما روحية ، وسورا علوية ، تشد المرء الى الملا الاعلى وتفجر فيه انغاما صوفية يرتلها في حلقاته واسحاره ، وينشدها في خلواته واسماره !

أقف عند هذا الحد من الحديث عن هذه الموسوعة مكرها على الاجتزاء ورجائي ان يتاح للقارىء النابه الاستمتاع بهذه الموسوعة الفريدة ، والانكباب على فصولها ليرى اي اثر نفيس خلعته ريشة الاستاذة ثريا على ادبنا المعاصر !

وقبل ان امسح القلم اسجل في هذه العجالة كلمتين بريئتين يدفعني الى تسجيلهما التنويه بالجهد المشكور الذي بذلته المؤلفة في هذه الموسوعة الكبرى المباركة !

اما الكلمة الاولى : فاعتباري هذه الموسوعة خير كتاب صدر في مستهل عامنا الحالي ، واما الكلمة الثانية : فهمسة القيها في اذن الاستاذ سعيد عقل ليلقي نظرة على هذه الموسوعة النفيسة ، وانا على يقين جازم من ان جائزته سائرة الى الاستاذة ثريا تقديرا منه للجهد الذي بذلته في تصنيفها ، ولعل (ابن حلال) من قراء هذه المجلة الزاهرة يسترعي انتباه الاستاذ عقل الى اقتراحي المتواضع ليطلع بدوره على « مخائيل نعيمة : الاديب الصوفي » و « القيم الروحية في الشعر العربي : قديمه وحديثه » وانا الضمين بانه مقدر ادب الاستاذة ملحس التي تعمل في صمت وهدوء وتؤدي رسالتها في صدق واخلاص .

عمان ـ الاردن **البدوي الملثم**

•

ابن المعتز العباسي

تأليف الدكتور احمد كمال زكي ـ (؟) صفحة ـ العدد ٣٦ من سلسلة اعلام العرب ـ مطبعة مصر بالقاهرة

شاء الحظ ان يكتب الدكتور احمد كمال زكي عن « ابن المعتز العباسي » كتابا جديدا ، لم اطلع عليه الا منذ ايام قلائل ، بعد ان كتب الدارسون ما كتبوا من دراسات أصيلة ، تعد حجر الزاوية في فهم السيرة الشخصية والفنية لهذا المفكر الكبير .

وفي رأي الدكتور احمد كمال ان كل ما كتب عنه ، من مثل كتابي « ابن المعتز وتراثه » في طبعتيه : الاولى التي ظهرت عام ١٩٤٩ في نحو ٤٠٠ صفحة ، والثانية التي ظهرت عام ١٩٥٨ في اكثر من ٨٠٠ صفحة ، وما اضفته الى تراث ابن المعتز من جديد ، بنشري لاول مرة لرسائله ، وبتحقيقي لكتابه « البديع » ، ومما كتبه عنه الاستاذ الاهل ، والاستاذ الكفراوي ، في رأيه ان كل ذلك لم يخرج قط عن الفلك الذي قطعه الدكتور طه حسين في محاضرته عن ابن المعتز وشعره التي نشرت في كتابه « من حديث الشعر والنثر (ص ٥ ابن المعتز ـ احمد كمال زكي).

بل في رأيه ايضا انه ـ مع محاضرة الدكتور طه عن ابن المعتز ، وما كتب بعدها من دراسات حوله ـ بقيت سيرة ابن المعتز ناقصة ، ولذلك فقد كتب كتابه ليخرج بسيرة فنية لهذا الرجل .

ومع ان الدكتور احمد كمال لم يجهد نفسه في هذا البحث ، الذي وجد مراجعه ، ووجد نصوصه ايضا كاملة ومستوفاة في كتابي عن ابن المعتز ، فضلا عن كتاب اخر لي عنوانه « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » نشر منذ اكثر من ثمانية عشر عاما .. فاننا ننظر لنرى كيف كتب الدكتور سيرة فنية لهذه الشخصية الخالدة .

درس الدكتور ابن المعتز الشاعر في اربع صفحات من كتابه (٢٥٧ ـ ٢٦١) ، ودرس ابن المعتز الكاتب في ثلاث صفحات (٢٦٢ ـ ٢٦٥) ، ودرس اثره في البيان في صفحتين (٢٦٦ و ٢٦٧) ، وعرض لابن المعتز الناقد عرضا خاطفا اثناء الكتاب .

واعتقد ان الدكتور يوافقني على ان هذه الجوانب هي اهم ملامح شخصية الرجل ، فاذا كان قد استغنى عن دراستها بدراسة قصة حياته ، على نمط ما كتبته أنا في ايجاز في الباب الاول من ابواب كتابي « ابن المعتز وتراثه » ، فان ذلك يكاد يكون اخلالا شديدا بالسيرة الفنية لابن المعتز ، الذي اعلن في اول الكتاب انه سوف يمزج فيها بين التاريخ العام والحادثة والشخصية والنظر الداخلي (ص ٨) ، وانها تاريخ فني لم يقتحمه قط خيال (ص ٦) ، وانه خضع فيها لمنطق السيرة الفنية كما يحدده المتخصصون ، من امثال اندريه موروا وغيره (ص ٦) .

واعتقد ان السيرة الفنية لا يمكن ان تخطىء ابدا في حياة صاحبها ، ومع ذلك فان الدكتور ينص على ان ابن المعتز قتل عام ٢٩٦ هـ : ٩٠٩ م

(ص ٣) . وارجو ان يرجع الدكتور الى كتاب حجة في مثل هــذه المواضيع ، مثل « التوفيقات الالهامية » ، ليرى ان اليوم الذي قتل فيه ابن المعتز ، وهو يوم الخميس ٢ من ربيع الثاني ٢٩٦ هـ ، يوافق ٢٩ من ديسمبر عام ٩٠٨ م ، لا عام ٩٠٩ م .

وكتاب السيرة الفنية لا يمكن ان يناقضوا انفسهم فيما يكتبون عـن الشخصيات التي يتعرضون لدراستها ، ومع ذلك نجد الدكتور يخصص الباب الاول من كتابه لدراسة « الامير الرجيم » كما سماه ، ويخـص فصلا من فصوله ، هو الفصل السادس ، بالكلام على هذا الامير الرجيم، ويقول عن ابن المعتز : انه كان يخدع النساء (ص ١٧) ، وانه أسلـم قيادة للشهوة دون ان يخطىء الهدف (ص ١٧) ، وان شعره كله رصد فيه مجونه بلا خزي ولا شعور بالعار (٢٥٧) ، وانه كان على غير ما فطر عليه كل البشر (٢٢) ، ويسميه « الامير المتعطل » (ص ٣٣) ، وانه حين كان يلمح جارية او يشهد في الطريق مركبا لاحدى المحصنات يتجه نحوها بغريزة تتقد ، حتى لتنتفض اعراقه ويفقد عقله ، وهو لا يخجل من ذلك ، بل يصرح به في وقاحة نادرة (٤٨) ، ويذكر هوايته بالنساء التي كانت تقوى منه فحولته الشابة (ص ٥١ و ٥٢) .

ولا ادري كيف تسيغ السيرة الفنية مثل هذه الكتابة الصارخة التي لا تمثل ابن المعتز ، ولا عصره ، في قليل ولا في كثير . مع ذلك يناقض الدكتور في ذلك كله نفسه ، فيقول في ص ٢٦٤ : من السخف ان يفهم بان ابن المعتز لم يعش الا للذته .

اية مناقضة غريبة في فهم الشخصية والكتابة عنها ، يمكن ان يقع فيها دارس بمثل ما وقع فيه الدكتور .

ومـن تمام كتابة السيرة الفنية الا يقع الاستاذ الجامعي في خطأ لا يمكن تصور وقوع احد فيه ، ومن مثل ذلك ما يقوله الدكتور وهو يتحدث عن احداث عام ٢٩٦ هـ الذي قتل فيه ابن المعتز : « نحن الآن في عـام ٢٩٦ هـ . ولم يعد هناك من يقرأ ابن المقفع ولا ابا حيان » (ص ٢٠٤) . واظن الدكتور نسي انه اذا جاز ان يقول ذلك عن ابن المقفع (المتوفي عام ١٤٣ هـ) ، فانه لا يجوز ان يقوله عن ابي حيان (التوحيدي) المتوفي عام ٤٠٠ هـ ، أي بعد عام ٢٩٦ هـ باكثر من قرن من الزمان ، لعل الدكتور كان يعتقد ان ابا حيان معاصر لابن المقفع ، وبحيء عام ٢٩٦ هـ ، فلا يوجد من يقرأ الرجلين .

وفي الكتاب يجعل الدكتور ابن المعتز قد « بلغ قمة النجاح » ، ولكن هو نجاح فحولته بطبيعة الحال كما يقرر ذلك الدكتور نفسه (ص ٦١)

ولعل ذلك تاكيد لمنهج الدكتور في كتابة السيرة الفنية ، هذا المنهج الذي لا باس فيه من ان يستدل الدكتور على ان ابن المعتز كان يتعقب الجواري ببيته المشهور :

شغلي اذا ما كان للناس شغـل دفتـر فقـه او حـديث او غـزل

وعلى بعد هذا الاستدلال ، فان الدكتور يجعل الغزل بعيدا عن معناه مرتين : الاولى انه يجعل معنى الغزل هنا تعقب الجواري ، والثاني انـه يجعله بمعنى التغزل ، لا بمعناه الصحيح ، وهو شعر الغزل ، حيـث يقول ابن المعتز : اذا كان للناس شغل فان شغلي هو القراءة والمطالعة في كتب الفقه والحديث وفي اشعار الغزل .

وبمثل هذا البعد في فهم شعر ابن المعتز ، الذي وقع فيه الدكتـور وهو يكتب سيرة ابن المعتز الفنية ، انه يجعل هم الشاعر تعقب الفتيات والنساء في الطريق ، واذا لمح جارية او شهد مركبا لاحدى المحصنات اتجه نحوها بغريزة تتقد ، حتى لتنتفض اعراقه ويفقد عقله وهو لا يخجل من ذلك بل يصرح به في وقاحة نادرة كما يقول مستدلا على ذلك ببيت ابـن المعتز :

جعلت عقلـي لشهوتـي عبـدا وصار غيي عند الهـوى رشدا

ولا ندري كيف يصح مثل هذا الاستدلال عند كتاب السيرة الفنيــة امثال الدكتور المؤلف .

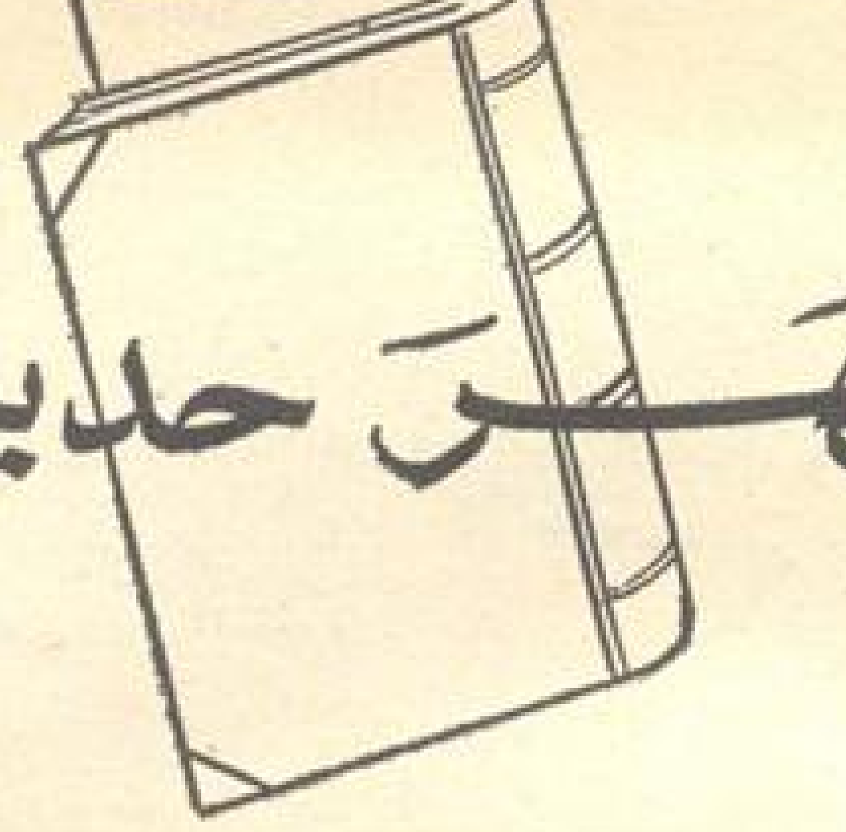
وفي ص ١٥ من الكتاب يتحدث الدكتور في سطور معدودة عن قتل ابن المعتز وبكاء جاره العلوي عليه ، وانه خرج من الدنيا غريبا كما دخلها، ثم يقول : ان هذا العرض الخاطف يعطينا صورة عامة عن حقيقة هـذه الشخصية التي يعرفها عصرها كل المعرفة .

ولا ادري : اي عرض هذا ، وكيف يعطينا هذا العرض صورة عامة عن هذه الشخصية ، فضلا عن حقيقتها . وفي ص ٩ يقول الدكتور ان فترة السنوات التسع (٢٤٧ ـ ٢٥٦ هـ) ، اي من ميلاد ابن المعتز الى مقتل ابيه ، هي التي شهدت مولد الشاعر واستوفت صباه . ولست ادري كيف يستوفي الانسان صباه في سن التاسعة ليرجع الدكتـور الى علماء النفس في مثل هذه القضية .

واذا كان الدكتور لا يذكر اسماء الكتب التي الفت عن الشخصية التي يتناولها ، حتى ليسمي كتابي « ابن المعتز وتراثه في الادب والنقـد والبيان » باسم « ابن المعتز في الادب والنقـد والبيان » ، فان مـن الصواب ، الا ينسى تاريخ اهم الاعلام الذين عاصروا ابن المعتز ، مثـل المبرد ، الذي يجعل الدكتور في هامش ص ١٣٣ وفاته عام ٢٨٦ هـ لا عام ٢٨٥ هـ كما هو الحقيقة .

والدكتور يتصور ان ابن المعتز في كتابه « البديع » « لا يستبعد ان يكون قد استعان ببعض شواهد كتاب الخطابة لارسطو بعد تعديلهــا وتغيير الاعلام فيها (ص ٢٦٧) كأن اللغة العربية ينقصها الشواهـد الكثيرة على التشبيه والاستعارة والكناية وسائر الوان البديع . ولو كان الدكتور قد قرأ كتاب « البديع » لابن المعتز لعلم ان عدم استبعاد ذلك غير صحيح ، لان الشواهد التي فيه كلها من الشعر الجاهلي والاسلامي والمحدث ومن كلام البلغاء العرب من الجاهلية حتى عصر ابن المعتز ، ولم يستشهد فيه ابن المعتز بشيء لنفسه الا ببعض ابيات قلائل لـم ينسبها الى قائلها غالبا . وكان من تمام السيرة الفنية ان يقف الكاتب على الاقل على كتب الاديب الذي يترجم له .

والدكتور حين يعرض لكتاب « البديع » يؤكد ان ابن المعتز قد أخذ بعض مصطلحاته من كتاب الخطابة لارسطو ، (ص ٢٦٧) ، دون ان يرجع الى كتاب الخطابة نفسه ولو في احدى ترجماته ليؤكد هذا الحكـم او ينفيه ، وفي هامش الصفحة نفسها يقول : « يقرر الدكتور مندور فـي



ظهر حديثاً

● قوت الارض والقوت الجديد ـ تاليف اندريه جير ـ لم يذكر اسم المترجم ـ اشراف ومراجعة الدكتور شكيب الجابري ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● الهندسة والمهندس في تقييم الهندسة والمهندس ، الهندسة الادارية والمهندس الاداري ، المهندس والعلاقات الانسانية ، التعليم الهندسي في البلاد العربية ـ تاليف المهندس محمود الشكرجي مدير المكتب الهندسي للدروس والانشاءات ببيروت ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الناعقون ـ رواية ـ تاليف بلزاك ـ لم يذكر اسم المترجم ـ قدم لها وراجعها الدكتور شكيب الجابري ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة منشورات عويدات ببيروت .

● مكتبة المثنى : لصاحبها قاسم محمد رجب ـ الفهرست السابع ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ـ تقديم كوركيس عواد مدير مكتبة المتحف العراقي ـ ٥٦٤ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● المدار المغلق ـ مجموعة شعرية ـ جبرا ابراهيم جبرا ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● اوروبا امس واليوم ـ تاليف المحامي فتح الله الصقال ـ تقديم محمد عبد الغني حسن ـ ٣٠٠ صفحة حجم كبير ـ مع عدة صور ـ هدية مجلة الكلمة لقرائها ونصرائها ـ مطبعة الضاد بحلب .

● روما وامبراطوريتها ـ المجلد الثاني من « تاريخ الحضارات العام » ـ تاليف اندريه ايمار استاذ في السوربون وجانين اوبوايه امينة متحف غيمه ـ ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد م . داغر ـ ٨٦٦ صفحة ـ مع عدة رسوم ولوحات تاريخية ـ وجدول زمني مقارن وجدول للاعلام ـ حجم كبير موسوعي ـ منشورات عويدات ببيروت ـ دار الارشاد للطباعة ببيروت .

● مآرب اخرى ـ مجموعة قصص ـ تاليف ناشد سعيد ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مباحث في الادب الشعبي ـ تاليف عامر رشيد السامرائي ـ تقديم الشيخ جلال الحنفي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية ـ مطابع شركة دار الجمهورية للطباعة والنشر ببغداد .

● الحركة المسرحية في العراق ـ تاليف احمد فياض المفرجي ـ مراجعة امل جواد حسن ـ مصمم الغلاف شوكت الربيعي ـ خط العناوين بريشة احسان ادهم ـ ٨٨ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد .

● الوشي او الظرف والظرفاء ـ تاليف ابي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشاء ـ تقديم كرم البستاني ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار صادر ودار بيروت ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الخبز في دير الزور : صنعه وانواعه وما اليه من عادات ومعتقدات وامثال واغنيات ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش ـ ١٠٦ صفحة ـ المطبعة السليمية بدير الزور سورية .

● آثار الاردن ـ تاليف لانكستر هاردنج ـ تعريب سليمان موسى ـ راجعه وتحرى ما فيه من حقائق : ذوقان الهنداوي ، محمود سليمان العابدي والدكتور محمد حسين علي ـ ٢١٨ صفحة ـ مع عدة لوحات اثرية ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ـ اخرجته مجلة « رسالة المعلم » ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اصداء حب ـ رواية ـ تاليف ميشال موسى ـ تقديم جورج سلستي ـ ٢٧٠ صفحة ـ منشورات دار اعلام الفكر ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

كتابه « النقد المنهجي » انه اطلع على ترجمة حنين بن اسحاق لكتاب « خطابة ارسطو » بمكتبة جامعة القاهرة ، وذلك يدل على عدم اطلاع الدكتور عليه ، وهو في مكتبة الجامعة على مقربة منه ، ولقد رأيته عام ١٩٤٠ في مكتبة الجامعة اثناء دراساتي لكتاب البديع لابن المعتز .

وفي ص ١٨ يذهب الدكتور الى ان ابن المعتز نفي مع امه وجدته الى مكة بعد مقتل ابيه ، ونفي جدته معلوم دون نفيه هو وامه ، وكان سنه اذ ذاك نحو الثماني السنوات .

واسلوب الكتاب بعد ذلك كله يشتمل على كثير من الابتذال والاخطاء الفنية التي كنا نحب ان يجنب الدكتور كتابه اياها ، ومن مثل ذلك :

ـ لم يكن هكذا طوال نصف الدهر الذي عاشه (ص ١٥) ، واستعمال الدهر في القرن غير مألوف .

ـ راحت جدته ـ بما ملكت من اموال ، وبما كانت امه تاخذه من المعتمد الذي اصدر امره لعفو عنها ـ ان تؤدبه (ص ١٨) . ومع ان امه لم تكن موضع عقاب ولا عفو ، فان قول الدكتور « ان تؤدبه » من الاخطاء البدهية التي لا يمكن ان يقع فيها امثاله من الجامعيين .

ـ ابن المعتز اولى بتسود البيان (ص ١٠٨) .

ـ الحياة أكبر من ذلك واعقد (١٧٤ والصحيح : واشد تعقيدا .

ـ مجالات فوضى قعد الاتراك على اطلائها وايديهم تقطر بالدماء (١٧) .

ـ كان يستقبل سنواته الاولى بشر عظيم (١٨) .

ـ قد يكون مغامرا خسيسا الى يوم او الى ساعة او لحظة ، ولكنه لا يعدم بعد ذلك ان يكون طيبا رزينا (٢٢) .

ـ كان ابن المعتز في ذلك الحين ياكل الفاكهة الفاخرة بمثل الاستهانة التي يبتلع بها العامة حبات التمر والشعير (١٨ و ١٩) .

ـ كان ابن المعتز نباتا طفيليا في دنيا القصور (١٦) .

الى اخطاء مطبعية كثيرة ، من مثل : ابو احمد العباسي بن الحسن (١٠٨) وصحته : العباس ، ومن مثل : أظل نهاري (٤٢) وصحتها : اظل ، ومن مثل : ويا لامل الذي يراوجه (٢٥٧) وصحتها يراوحه .. وذلـك كثير جـدا .

وارجو ان يتقبل الدكتور كلمتي هذه بقبول حسن ، وله مني عظيم التقديـر .

محمد عبد المنعم خفاجي — **البيضاء ـ ليبيا**